هي نور

(لم تكن لتطفئه، ولم يكن يناديها)

اسم الرواية: هي نور (لم تكن لتطفئه، ولم يكن يناديها)

اسم المؤلف: سها علاء الدين

تدقيق لغوي: هاجر جابر

تصميم الغلاف: محمد دربالة

إخراج داخلي: ساندي شريف إبراهيم

رقم الإيداع:2021/2293

الترقيم الدولي:978-977-844-107-4

جميع الحقوق محفوظة للناشراى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية والآراء والمادة الواردة.وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

Email: ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

سهـا عـلاء الـدين

هي نور (لم تكن لتضيء، ولم يكن ينادي)

إبهار
للنشر و التوزيع

إهـــداء

إلى كل من تمنى لي الخير وأكثر..
إلى كل من رآني أفضل من الجميع وأكثر..
إلى كل من كان ليَ العون والسند..
إلي كل من منحني كلمات التشجيع..
كل الثناء والشكر إلى من منحتني القوة والحب.
وأخيرًا وليس آخرًا.. كل الثناء والشكر لوالديّ عما بذلوه لي من مجهودات عدة، لا حصر لها، ولا يكفيهما ملايين الكلمات، ولو ملئت بحور.
كل الثناء والشكر.. لأختي ولصديقتي التي لا تفرق كثيرًا عن أختي الشقيقة، أدامكما الله نورًا بقلبي وشمسًا بحياتي، وأكسجينًا لروحي إلى الأبد.

المقدمة

لا تتعجبوا إذا رأيتم أنفسكم في بعض السطور، أو لمحتم جزءًا من ماضيكم في بعض الصفح..أتأسف وبشدة إن ذكرتكم ببعض من ذكرياتكم المؤلمة... فلم أقصد إنعاش ذكرياتكم المريرة المدفونة منذ شهور أو سنين أو أيام.. إنه واقع على أية حال يجب أن نؤمن به..

علينا أن نؤمن أن هناك الجيد والسيء..علينا أن نعلم بأن البعيد سيقترب، والغائب سيعود، و أن المتعسر سينشرح قلبه، وأن الحق سيأتي لصاحبه، ولو بعد حين.

علينا أن نعلم أن كل ما يحدث لنا ليس إلا قدر كتبه الله علينا، وليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.. لينا بالرضا على كل الأحوال، والعلم بأن إذا أخذ الله منك شيئًا عوضك بالأفضل منه مؤكد.

في ليلة مظلمة، كانت الأمطار تتساقط بغزارة.
كان يتضوّر جوعًا..
ليست معدته، بل شهوته اللعينة تجاهي!!
اتصل بي بصوت مُتعب: تعبان أوي الحقيني. وأغلق الخط..
انتفضت من مكاني بعد سماع صوته وسقوط الهاتف من يده على الأرض، لم أستطع حتى ابتلاع لعابي، أخذت أتحرك في أرجاء الغرفة بجنون، واصطدمت أكثر من مرة، والغريب أنني لم أكن أشعر بأي شيء سواه! سوى خوفي عليه فقط..
لم أجد ما أرتديه إلا جاكيت أمامي، فأخذته وغادرت مسرعة إليه...
هو يسكن بجانب منزلي، فلن أتأخر عليه حتمًا.. أخذت أجري، وكأن أمًا تبحث عن طفلها التائه، وقلبي يرتعش، ليس من شدة البرد، بل من شدة قلقي عليه..
ظللت أجري حتى تبللت ملابسي الخفيفة، وتجمدت أطرافي، ولكن لم أشعر بالتجمد إلا بقلبي.. تعرقلت قدماي فسقطت، هذا ما شعرت بألمه حقًا، صرت لا أستطيع الجري، فقلّت خطواتي، ولكن بعد دقائق وصلت...

أخذت أتسلق الدرج بصعوبة بالغة، فحقًا قدماي تؤلماني.. أتمنى ألا تكون كسرت.. سأتصل بطبيب العيلة، يدعى "حسام"؛ ليأتي ويسعفه، لا أعلم ما حلّ به، لكنه سيفي بالغرض، ويأتي مسرعًا..

اتصلت به، لم آخذ سوى دقيقة واحدة، وصفت له الطريق، فأخبرني بأنه سيحضر سريعًا، شكرته وأغلقت الخط..

أكملت الدرج بصعوبة شديدة حتى وصلت أخيرًا، وكاد قلبي يقفز من مكانه؛ من شدة قلقي عليه...

أخذت أدق الباب بشكل جنوني، وأنا أدق تذكرت أنه وقع مغشيًا عليه.. كيف له أن يفتح لي!

فتوقفت للحظات لأفكر ماذا سأفعل!

وفجأة، وجدت الباب يُفتح!

والصدمة أنه هو من فتح لي، وكان لا يظهر عليه علامات التعب، بل مبتسمًا!

أخذت لا أتكلم لبضع لحظات، وأفكر ماذا يمكن أن يكون فعل! ولماذا اتصل بي لكي أحضر له في هذه الساعة من الليل؟!

لم أستوعب ماذا يحدث!! تساؤلات كثيرة داخلي بلا إجابة، وقُلت له في دهشة:

- انت مش تعبان وكويس أهو يا "معاذ"!
- "معاذ": أنا كويس عشان شفتك، ادخلي.

ولم يكمل كلامه، أخذ يدي وشدني إليه بقوة، حتى اقتربت إليه، وأنا ما زلت لا أستوعب ماذا يريد، أو ماذا يحدث! لم أكن أراه بهذه العين المتدنية من قبل، لا أريد أن أفكر أنه حتمًا يريد...

ظل يقترب إليّ حتى أنه كان لا يفصل بيننا إلا بضعة إنشات، فدفعته، ولكن بلا جدوى، وليس مجرد شك.. علمت ماذا يريد بالضبط، أو بمعنى آخر أني كنت متأكدة، لكن كنت أريد أن أكذب عقلي، وهذا بفعل قلبي اللعين، فدائمًا يقدم له حسن النية..

بصوت عالي:

– سيبني يا "معاذ" بتعمل إيه!!

وصرخاتي تزيد.. أخذت أدفعه عني بكل قوتي، ولكن قدماي ما زالت تؤلماني وخانتني، فوقعت على الأرض عندما حاولت الهروب بعيدًا عنه.. اضطررت أن أتجه حبيًا إلى الباب ببطء، ولكن أمسك بي، ولم أشعر بنفسي بعدها..

وبعد وقت لا أعرف مدته استيقظت، فوجدت نفسي على الأرض، بعد أن نزفت بشكل مرعب، وكأن دماء جسدي كلها انهالت على الأرض، ولا يوجد أحد بالمنزل.. حاولت أن أقف ولكني فشلت، فحاولت أكثر من مرة حتى وقفت، ولم أكمل دقيقه حتى سقطت مرة أخرى..

ليس هذا الغريب، ولكن الأغرب أني لم أستطع حتى البكاء، ولم تنزل دمعة واحدة، وكأن مات عندي الشعور بكل شيء سوى قدماي، أما قلبي فللأسف ما زال ينبض..

ما قطع تفكيري هو أني سمعت دقات الباب، فتحملت ووقفت لأفتح الباب، فـ أخيرًا لا بد أنه عاد من أجلي بعد أن شعر بالندم، وشعرت ببعض الأمل.

والصدمة أني وجدت صاحب البيت! نظر إليّ نظرة استحقار.

لا أعرف كيف سالت هذه الانهار من الدموع أمامه، فقدت الأمل، فلم يندم ولن يندم ولن يعود، صاح بي ورفض مساعدتي، وقال بصوت عالي:

– اخرجي بره بيتي يا إما هطلبلك البوليس.

وأمسك بيدي بقوة وألقاني خارج البيت، فوقعت على الأرض.

لا بد أن أصحاب القلوب القاسية أمثاله يجب أن تقع مع أمثال هذا الملعون الفظّ.. فعلًا الطيور على أشكالها تقع، ولكن لماذا لم أقع أنا مع أشباهي! هذا ليس إلا نصيبي.

وظللت أبكي بكاء الطفل الذي فقد والديه في يوم واحد، حتى وجدت يدًا تُضع على كتفي بحنان، ولكن جسدي انتفض بشدة وزادت رجفتي، إنه دكتور العيلة "حسام"

– إيه اللي حصل ده في إيه!!

زاد بكائي ولا أستطيع النطق، لقد شُل لساني تمامًا كقدميّ،

حملني وذهب بي إلى أقرب مستشفى.. لا أعرف هل أفرح لأنه ساعدني، أم أحزن أنه رآني هكذا! ولكن هذا لم يحدث بإرادتي.. أنا خائفة جدًا أن يخبر إخوتي.. ماذا أفعل!!

وصل بي إلى المستشفى.. أنا اشعر بكل شيء يدور حولي، لكني بعالم آخر غير عالمكم اللعين، لا أستطيع الكلام، عيناي نصف مغلقة. وضعوني بغرفة وكشف عليّ الطبيب، ثم أعطتني الممرضة مهدئًا.. كنت مستسلمة تمامًا لأي شيء، رغم خوفي الشديد من الحقن والمسشفيات.. لم أشعر بنفسي بعدها.. لا بد وأن الطبيب سيخبره بكل شيء، ولكن لماذا أخاف؟ لا يحتاج أن يشرح له شيئًا، فآثار الدماء قد شرحت كل شيء!

وبعد عدة ساعات استيقظت في غرفة المستشفى.. انتفضت، لقد تأخرت على أخي الصغير، سيلاحظ غيابي حتمًا!!

خرجت من الغرفة مسرعة لأجد "حسام" يجلس وهو يقاوم النوم، وعندما شعر بوجودي وقف، وقال:

- إيه ده خرجتي ليه؟ لازم ترتاحي الليلة دي في المستشفى أحسن!
- لا يا "حسام" مينفعش.. أخويا هيلاحظ غيابي، ودي أول مرة أعملها من ساعة ما بابا وماما توفوا.
- "حسام": حاضر هستأذنلك بالخروج وأوصلك.
- ماشي.

خرجنا سويًا وركبنا سيارته، وفي الطريق قال بابتسامة هادئة:

- متخافيش، محدش من اخواتك هيعرف حاجة عن اللي حصل، ده كله هيتحل بهدوء، أخوكِ الصغير مايتحملش مسؤولية

مشاكل كده، وكمان هو بيمتحن، والكبير مسافر بس أنا بداله هنا جمبك، صح ولا إيه؟!

وعندما بدأ بالكلام بدأ بكائي، وسالت دموعي كبحر في شهور فيضانه الأولى.. صرت أبكي بصوت عالٍ كالأطفال.

أخذ يهدئني بكلامه ويربت على كتفي بحنان، حتى هدأت قليلًا.. أخبرته بأن هذا الشخص الذي أفنيت عمري معه وروحي له، كنت لا أرى سواه.. كنت أتمناه زوجًا لي، حتى في قساوته كنت ألين ما يكون معه.

أهملني واهتممت..

تركني وذهبت إليه..

أبكاني وأضحكته كثيرًا..

كان سيئًا ولكني أحبه، هو من أوقعني في فخه من البداية

في البداية كان أجمل..

لماذا البدايات دائمًا أجمل؟!

لماذا عندما أخبرته بحبي اختفى من كل مكان؟ كفّ عن ملاحقتي، مكالماتي، مغازلتي، اهتمامي، ومواساتي!

كفّ عن كل ما هو جميل بمقابله الأسوأ، لقد ندمت حقًا أنني صرّحت له ما بي.. يا ليتني لم أقع في شباكه.. لقد كسرني بأسوأ الطرق.. أخذ مني ثالث أغلى شيء كنت أملكه بعد أبي وأمي.. يا ليتهم معي الآن! لكنت أقوى من ذلك. قلبي ينفطر حقًا.. لقد ذهب كل شيء.

رسائله الباردة..

كلامه السيء معي مؤخرًا..
حبه الذي تلاشى..
اهتمامه الذي قلّ تدريجيًا..
حنانه!
كان وجوده أفضل بالنسبة لي من اختفائه تمامًا، كان أهون عليّ وجوده، رغم سوئه!
أنا أكرهه..
وعند هذه الجملة توقفت، وصرت أبكي كما لم أبكِ من قبل..
فأنا أعلم أنني لن ولم أكرهه، فهو أول حب لقلبي.. أول كل شيء كان هو.
أول شعور، أول اهتمام، أول إحساس بالغيرة، أول نظرة، أول لمسة، وحتى أنه كان أول وجع!
كيف أكرهه بهذه السهولة؟!
نظر إليّ "حسام" بحزن شديد، وعيناه حكت لي كل ما يريد قوله لي، وكأنه يقول كيف لبنت لم تتجاوز الـ ٢٠ يحدث لها كل هذا؟ كيف لقلبها الصغير أن يحمل كل هذا العبء الذي يوازي جبل يزن اتزان الأرض وما عليها!
ولكنه اختار الصمت، وأخذ يربت عليّ، ووضعني بين ضلوعه، حتى شعرت بأنني أستطيع أن ألتقط أنفاسي قليلًا، فيجب أن أتماسك؛ حتى لا يظهر عليّ آثار الدموع؛ لكي لا يلاحظ أخي الصغير "ياسين".

مما حدث نسيت ألم قدمي، أو أن وجع قلبي فاق ألم قدمي بكثير، لذلك لم أعد أشعر بهما... نزلت من السيارة، وكأن لم تستطع قدماي أن تحملاني، وثقل قلبي هذا.

خرج "حسام" مسرعًا من السيارة وحملني، ووضعني بالسيارة مجددًا، وقال:

- كده يبقى في الأغلب هتتجبس، هوديكِ لأقرب مستشفى نشوف.

وتحولت نظرته ونبرته لحنان..

- متخافيش، أنا جمبك، ألف سلامة عليكِ.

نظرت له بخيبة أمل، فلم أقدر على الرد أو الشكر، فقد أتعبته كثيرًا، ولا أعلم ماذا كنت لأفعل بدونه!

حتى أنه لم يفكر بالاتصال بي حتى الآن!!

ولكن لماذا سيتصل؟ فقد أخذ ما يريد! كنت غبية حين ظننته يريدني، ولكن الحقيقة أنه كان يريد شيئًا مني، لا أكثر.

ولكن كيف لي أن أكرهه وقلبي ما زال بحوزته! فهو يملك ريموت التحكم الخاص بي، وها هو أخذه ورحل، لأفقد أنا السيطرة على قلبي الملعون.

وهل هو رحل حقًا أم أنه غاضب قليلًا وسيعود لي كعادة خصامنا؟ ولكن أنا ماذا فعلت ليغضب؟! حتى أنه لم يقل لي وداعًا!!

ذهبت إلى المستشفى.. حملني حسام إلى الداخل، وكشف عليّ الطبيب، وفعلًا كُسرت قدمي، كقلبي تمامًا، ولكن الفرق أن كسر قدمي

له علاج، أما قلبي! ليس له علاج أبدًا، سأدفع الآن علاج قدمي مرة واحدة، أما علاج قلبي ستأخذ مني الأيام الثمن كل يوم، ولا أعلم لمتى سأظل هكذا!

جبست قدمي، ونبهني من عدم السير عليها لمدة أقلها شهر، وأخذني "حسام" بسيارته إلى محل ملابس.. أحضر لي فستانًا جديدًا؛ لألقي الفستان الملوث بالدماء هذا خرج من السيارة وأعطاني إياه.

- "حسام": البسي ده يلا، مش عايز أدخلك جوا المحل عشان متتكسفيش بس.

كم أنا عار عليه وعار عليّ وعار على كل من يعرفني.

- حاضر يا "حسام".

ارتديته ثم أخذني إلى المنزل دون أن أنطق أنا بحرف، وأنا ألاحظ نظراته لي، كم هو حنون لهذه الدرجة! شخص غيره لنعتني بالعاهرة!

قطع تفكيري صوته:

- وصلنا.

صار قلبي يرتعش، ولكني لا أعلم لماذا كنت مطمئنة وهو يحملني.

دق الباب وفتح "يس" وصعق مما صار لي، وقال:

- "نور" إيه ده في إيه! إيه اللي عمل فيكِ كده؟

- "حسام": متقلقش يا "يس" هي عملت حادثة صغيرة كده، والحمد لله جت سليمة.

- طيب اديهاني أدخلها أوضتها عشان ترتاح.

- لا تعالى بس معايا ندخلها جوه.

ووضعني حسام على سريري.. يا ليتني لم أتركك وأذهب إلى ذلك الملعون.

- "يس": ألف سلامة عليكِ يا حبيبتي، قلقتيني عليكِ جدًا.
- الله يسلمك يا حبيبي أنا هبقى كويسة متقلقش، وآسفة إني قلقتك.
- "يس": اتصلت عليكِ على الفون كتير جدًا وكان مقفول، وكنت هتجنن عليكِ.

هاتفي!! أين؟ لا بد وأنه وقع في منزل "معاذ".. ماذا سأقول الآن، وكيف سأحضره!

- "حسام": آه، تلاقي وقع منك في عربيتي او في أوضة الدكتور اللي جبسلك رجلك. ووجه انظاره لـ "يس": هبقى أشوفهولها متقلقش.

عندما تحدث اطمئن قلبي، كم هو لطيف! أعتقد أنه فهم ما أريد قوله؛ لأنه تبيّن على ملامحي علامات التوتر، ولكن أحمد الله لم يلحظ "يس" هذا القلق الذي هو عباره عن ملامح وجهي الآن.

خرج "يس" ليحضر لنا كوبين من العصير، وعندما خرج تلقائيًا ابتسمت له، وهذه أول ابتسامه منذ شهرين من قلبي، فقد عاصرت الكثير والكثير من الأحداث المؤلمة.

تُوفي والدة صديقتي المقربة.. ثم حادث وفاة والداي.. ثم دخلت على اختبارات نهاية العام.. ثم ذهاب "معاذ" للمشفى؛ لمرضه الشديد مدة أسبوعين.. ثم ما حدث الآن، حقًا لم آخذ هدنة!

- شكرًا يا "حسام" جدًا، تعبتك معايا أنا آسفة.

"حسام" ردّ بابتسامة حانية:

- لا شكر على واجب يا بنتي، بتشكريني على إيه؟ تعبك راحة.. ألف سلامة عليكِ، وخدي الدوا في مواعيده، وهخلص إن شاء الله شغلي بكرة وأجبلك فونك.

خجلت من رقته وما يفعل لأجلي.. ابتسمت وحركت رأسي بالموافقة، فلا أعرف ماذا أقول!

دخل "يس":

- كوبيتين عصير برتقال فرش يستاهلو بؤكوا.. بالهنا والشفا.
- "حسام": لا أنا اتأخرت بقى، هروح وأشربها بكرة إن شاء الله لما آجي أجيب الفون.
- "يس" بمرح: لا أنا تعبت فيهم، وبقالي ساعة بعصر في كوبيتين يا عم، اشرب وانزل.
- "حسام": هههههههههه، يا عم شيلهالي هشربها بكرة؛ لأني أساسًا مكلتش وميت من الجوع.
- "يس": طيب استنى نتعشى سوا كلنا.
- وأنا أراقب الأحداث في صمت، وأتمنى لو يذهبوا جميعًا ويتركوني منفردة.
- "حسام": لا هاكل لما أروح بقى، ده تلاقيهم قلقانين عليا جدًا في البيت.

- "يس": طيب اعمل حسابك بكرة تتغدى معانا وهتشرب العصير برضو هههههههه.
- "حسام": حاضر يا عم.. أستأذن أنا بقى.
- "يس": طيب تعالى أوصلك لتحت.
- "حسام": يا ابني لا خليك جمبها متسيبهاش لوحدها.
- "يس": ما أنا كده كده هنزل عشان أجبلها الدوا، فهوصلك بالمرة.
- "حسام": طيب يلا بينا.. سلام يا "نور"، وألف سلامة.
- الله يسلمك يا رب.
- "يس": هنزل بسرعة يا حبيبتي أجبلك الدوا ومش هتأخر عليكِ، متخافيش ماشي؟
- ماشي، خد بالك من نفسك.
- "يس": حاضر.. لما آجي نتكلم بقى.
- وخرجوا.. صرت أكتب كالعادة...

"لو أن الأطباء يجيدون صنع دواء لتسكين جرح القلوب المخدوعة والموجوعة! لو أنهم يستطيعون تسكينها كما يسكن ألم الرأس، فهذا بالنسبة لي أعظم اكتشاف في تاريخ الطب..

فكم من عاشق مات من شدة الألم.. لا أطباء لنا سوى الله، أما عن الحبيب! فإنه ذهب بدوائه بعيدًا، ليترك لنا الآلام المفجعة التي تلتهم صدورنا بالبطيء حتى يحين لطف الله برحمته الدائمة.

ولكني إلى الآن ما زلت أحاول أن أسقط من على سريري؛ حتى أتاكد أن ما أنا فيه حُلم، ولكني أشعر بألم قلبي، فأنا مستيقظة تمامًا ياللأسف!!

كل هذا جعل ذاكرتي تسترجع حادثه والداي.

- إيه يا بابا انتو لابسين كده ليه من الصبح؟ نازلين فين؟
- الأب: اتصلوا بينا الصبح من البلد، توفت مرات عمك.
- البقاء لله يا بابا.
- الأم: متخافيش يا حبيبتي مش هنتاخر إن شاء الله.. على ما تعملي الغدا هنكون وصلنا.
- حاضر، خدوا بالكوا من نفسكوا.

ربتت أمي على كتفي بنظرة لم أستطع فهمها إلا بعد مرور ثلاث ساعات من خروجهم، ليتني احتضنتهم بقوة! ولكني لم أكن لأعلم بأنه وادع اللقاء الأخير.

بصوت عالٍ:

- "يس" اتصل بيهم شوفهم فين ما اتصلوش يطمننوا إنهم وصلوا ليه بس؟

كان قلبي يدق بلا راحة أسرع من عقارب الساعة، وكأنه كان يشعر بنقصان شيء عظيم للأبد.

الهاتف يرن..

- "يس": شكلهم هما دول!

ليقال له كلمات لا أعلمها حتى الآن، ولا أريد معرفتها، ليس لديّ فضول عكس المعتاد أن أعلم ماذا قيل لأخي لكي ينهار في أقل من ثانية! خرجت بلهفة؟؟ اوقعت كل ما بيدي ليتحطم قطع صغيرة.. لم أبالِ.

بصوت مرتعش مخضوض:

– "يس"، في إيه مالك؟ مين على التليفون؟ هات وريني.. ألو ألووو!

قطع الخط!

– رد عليّا. وصرت أبكي؛ لأن قلبي شعر بما سيقول قبل القول.

حتى بدأ "يس" يلتقط أنفاسه.. يلقي على قلبي سهامًا أقسم إني لا أستطيع إزالتها من قلبي حتى الآن، لمجرد التذكر "بابا وماما عملوا حادثة وهما رايحين وماتوا".

كانت الكلمات قاسية عند سماعها ضعف توقعها، كنت أشعر، ولكني لم أرد سماعها أبدًا، لأبدأ بالصراخ وينتشلني أخي من الأرض، وصار هو من يواسيني وليس العكس.. ظللت على الأرض أبكي لوقت لم يمر بعقارب الساعة كثيرًا، لكنه مر عليّ سنينًا..

شددنا بيد بعض؛ لنذهب إلى المشفى؛ لإلقاء النظرة الأخيرة عليهما.

– الدكتور: كانوا جايين حالتهم صعبه أوي، وللأسف متلحقوش.. البقاء لله. وذهب

ألقى الكلمات بوجهينا ورحل.. لا أستطيع إفضاء ما شعرت به. جلست بأقرب كرسي لأنهار كليًا، ليست عيناي فقط.

ظل يهدأ مني "يس" حتى هدأت خارجيًا.. ذهب لغرفة الثلاجة ليراهم ويتمم جميع الإجراءات، ظننًا منه أنني هدأت.

هدأت قليلًا لأحاول مساعدة قدمي في التقدم بخلوّ وجهي من ملامح العالم أجمع حتى وصلت لجثتهما.

– "يس": ليه جيتي يا "نور"؟ خليكِ برا، بلاش تشوفيهم كده.

بصوت متهالك:

– لازم أودعهم يا "يس"، لازم أشوفهم آخر مرة.

عندما رأيت وجهيهما التي اختفى منها الدماء والشفاه البيضاء، وجسدهما الذي يجعلني أشعر أننا في ليالي ديسمبر في العراء.

حتى يأتي إليّ البكاء من جديد..

– ليه سيبتوني مع بعض كده؟ طب أنا ليا مين غيركوا؟ أنا هخاف أكمل من غيركوا، أنا قلبي وجعني أوي والله، قوموا قوموا بالله، كنت بدعي إني أنا أموت قبلكوا عشان مشوفش اليوم ده، يا رب ليه مستجبتليش؟

ويعلو صوت بكائي، ليحضر ممرضتان وأخي يواسيني.. حتى زاد نغز قلبي، وشعرت بدوار، ولم أرَ شيئًا بعدها..

استيقظت بإحدى غرف المستشفى.. نمت كثيرًا، كلما استيقظت آخذ حقنة مهدأة؛ لأنام، وفي كل مرة أستيقظ بلا مهدئ، أزداد بكاءً ويزداد صوتي في كل مرة.

– الدكتور: أختك جالها انهيار عصبي، لو في حد يعني أكبر منك يبقى موجود جنبها يبقى أفضل، وعشان يتمم إجراءات الدفن.

- "يس": حاضر هتصل بأخويا ينزل، طيب يا دكتور هتفضل نايمة على طول كده؟
- الدكتور: النوم بالنسبالها أفضل حل لحالتها دي؛ عشان متسوئش.
- "يس": وهتفضل كده كتير؟
- الدكتور: ادعيلها ربنا يسهل إن شاء الله تبقى كويسة قريب.

اتصل "يس" بأخي الأكبر الذي لم أرَه منذ سنوات، وأخبره بكل ما حدث، وكان في ظرف يومين بمصر.. حالتي كانت تسوء كل يوم، انعزلت عن العالم شهورًا..

حتى قرروا أخذي إلى البيت أخيرًا، لتعود صراعاتي من جديد الصراعات التي كنت أواجهها شهورًا بالمستشفى.. اجتمعت أمامي بحفرة لأسقط بها مع أول خطوه لقدمي داخل المنزل.

- "عمار" أخي الكبير: حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي.
- الله يسلمك يا "عمار".
- "يس": هدخل أحضر حاجة خفيفة تاكلوها. وذهب.
- "عمار": حاسة إنك بقيتي أحسن يا حبيبتي؟
- عمري ما هبقى كويسة تاني من غيرهم.
- "عمار": ليه بس يا حبيبتي، أنا جمبك وقت ما تحتاجيني هنزلك فورًا، وأخوكِ معاكِ أهو وكلنا جمبك يا حبيبتي، الموت علينا حق، ويعتبر ده الحقيقة الوحيدة اللي في الدنيا.. عايزك تجمدي كده.

استوقفتني قليلًا تلك الجملة "الموت علينا حق، ويعتبر ده الحقيقة الوحيدة اللي في الدنيا".

ومرت الأيام والشهور، لتعود الأحداث لشبه طبيعتها.. حتى شعرت يومًا أن الله عوضني بـ "معاذ"، ولكني كنت على خطأ عظيم.

كنت أراك بقلبي، وكان على قلبي غيمة تمنعني من الرؤيا جيدًا، وفي اليوم الذي رأيتك فيه حقيقة أمطرت عيني، فأصبح طقس قلبي مُعتمًا.. فأنا أحتاجك الآن؛ حتى أشرح لك ما حل بي، وما سيحل، وما سيستمر في الحدوث معي لغيابك..

وأتساءل، كيف سمح لك قلبك بأن يكسر لك عكازك وقدمي!

سأنتظر مجيئك؛ لأني حاولت أن أجد ما يشفع لك عند قلبي، لكني لم أجد هذه المرة..

لم أكن أعلم أني سأعاني بهذا الشكل.. أي حب يفعل بي هكذا؟ ألم يقولوا إن الحب من أسمى المشاعر وأجملها؟ يجعل الإنسان يُحلق في مكانه، يشعر وكأن العالم كله ملكه، ويرى الوجود جميلًا! ألم يقولوا إنه المطية إلى السعادة العارمة؟ ألم يقولوا بإنه يتوج قلوبنا بأجمل الأحاسيس التي تسمو بنا فوق السبع سماوات، ونحن ما زلنا على سطح الأرض جالسين؟ ألم يقولوا بإنه ينير الوجه ويحيي القلب من جديد، ويخلق السعادة التي تتقاسمها مع نصفك الآخر على هذه الأرض الكبيرة، التي تجعلك تشعر بأمان كبير وراحة واطمئنان بجواره، ولا يسكن قلبك دقيقة واحدة قلق؟ ماذا حدث وأين كل هذا؟ لا أعلم ماذا أكتب.. تعرقلت الكلمات على أطراف قلمي، ولا أعلم هل الخطأ بي

أم به، وهل ما كنت أدعي أنه حب كان فعلًا كذلك، أم وهم وخيالات، أم هو استطاع تمثيل الدور عليّ، أم أنا كنت الساذجة! ولا أعلم هل أظلِم الحب، أم الحب فعلًا مُذنب؟!

قطع حديثي مع مذكراتي حضور "يس"..

- أنا جيت يا حبيبتي، انتِ كويسة؟
- آها الحمد لله.
- "يس": بس مقولتليش كنتِ نازلة فين أصلًا، مش انتِ خلصتي امتحانات؟!!

سمعت سؤاله، ولا أجد مبررًا مناسبًا، ولم أفكر حتى في كلام لأقوله، لأنه كان من المنتظر أن يطرح عليّ هذا السؤال.. ادعيت أن قدمي تؤلمني، فنسي أمر السؤال وأحضر لي الدواء؛ ليسكن ما حل بي من آلم، لكنه لا يعلم أن الألم الحقيقي حل بقلبي، وليس بقدمي...

فإني أتألم للحد الذي لا تنفعه أدويه أو مسكنات!

فلقد أعطاني الدواء لشفاء كسري..

هل من دواء لشفاء قلبي؟! أخبرته بأن روحي ترتعش عند مرضه، وأن نبضاتي تتزلزل باقترابه سعادة، وأن وتيني سيقطع برحيله.. وعدني ألا يذهب، ولكنه فقد الذاكرة وذهب..

فأنا أحتاج إليك كحاجة الأرض البور إلى فأس يغرس فيها لاستصلاحها، لتعود لها منفعتها في الحياة من جديد..

أنت ذهبت، أما أنا فقد نسيتني معك!

عقلي يخبر قلبي بتفاهة مشاعري، وقلبي يلعنه، وأظل في صراع بين هذين الأحمقين..

فحقًا أصبحت أخاف من نفسي على نفسي..

فأنا لا أريده أن يشاركني لحظات سعادتي العارمة، أريده أن يشاركني أوقات ظلامي الحالك التي تجعلني لا أرى خلالها أصابع يدي التي تبعد عن عيني شِبرين، أريده أن يشاركني لحظات وقوعي، وليس لحظات رفاهيتي.. لا أريد أن أراه في ثباتي فقط، أتمنى لو مد لي يد العون في لحظات انهياري التي تخر لها قواي ضعفًا، أتمنى أن أجد هذا السند الذي يجعلني أقع وأنا مطمئنة أن هناك من يفرد ذراعيه لي لأهبط عليهما بسلام دون أن أرتطم بالأرض لأتحطم، لو أني وجدت نصفي الآخر لذاق قلبي السلام.

(رسائل لن ترسل)

كنت إضاءتي الخافتة الأخيرة في غرفتي الذي فقدت ما لي بعدها تمامًا، أعتقد أني سأعيش بقية حياتي في عتمة!

(دُمت سيئًا)

أغلقت مذكراتي لأنام وأنغمس في عالم الخيال، لعله أهون عليّ من الكابوس البشع الذي أعيش به الآن.

أتعلمون؟ أحيانًا يكون النوم المسكن المؤقت لصراعتنا مع هذه الحياة، لو بكيت أنام، لو تألمت أنام، لو شعرت بالجوع وليس لدينا ما يكفي من الطعام أنام، لو واجهت مشكلة من كثرة التفكير أنام..

لا أجد راحة في شيء سوى في هذه الموتة الصغرى أتمنى لو تطول قليلًا..

في صباح اليوم التالي استيقظت بتثاقل، فحقًا لا أريد أن أستيقظ.. أفتح عيني على ألم شديد في قدمي، أبحث عن المسكن والأدوية الأخرى، لعلها التي تشفي ما حل بي، ولعلها تزيل الألم قليلًا، ولكني لم آكل حتى، ولا أطيق أن أتوكأ عليها...

أخذت الدواء بلا مبالاة "اللي يحصل يحصل بقى مش هتفرق".

أمسكت مذكراتي وبدأت أكتب..

أصبح القرب مستحيلًا بالنسبة لك، والبعد مستحيل بالنسبة لقلبي.

وعلقت أنا في المنتصف المميت!

فلماذا ذهبت قبل أن تخبرني بموعد الرحيل؟ لماذا؟!

لماذا قررت أن تختم حياتنا بهذه النهاية، وكانت البداية أفضل ما يكون؟!

لماذا ذهبت بعد أن أخذت كل شيء؟ مؤسف، لقد نسيت روحي معك، سأتظاهر أني ما زلت على قيد الحياة..

فـ كل شيء أقدم للحصول عليه يأخذ من روحي وقلبي الكثير والكثير حتى أخسرها، ثم أصبح حطامًا لشخص كان يومًا على قيد الحياة، بعد أن صرت على قيد من لا حياة لهم!

الآن أتململ وجع من غيابك؛ لأني لا أراك، وكنت أتململ ألم من وجودك؛ لأنه يشبه غيابك، فأين راحتي؟!!

صرنا أبعد من السماء والأرض بعد ما كنت أقرب إليّ من دموع عيني، يالقساوتك!

ولا أعلم من أين أتت كل هذه الدموع من عيني! أصبحت تتساقط وكأن المطر يسقط في أشد الليالي برودة.. دموع لا تتوقف، وألم لا ينتهي من هذا وهذا، ولا أستطيع الفرار، محاصرة أنا بين قلبي المتيم بحبه، وعقلي الذي يسبُني ويلعنني..

أصبحت أنا كهاتف بطاريته ٢٪ كُسر شاحنه.. سأفقد وعيي قريبًا!

بعد دقائق شعرت وكأن روحي تُسحب من جسدي جزءًا فـ جزءًا، أطرافي تجمدت، ووجهي ينبعث منه الحرارة المفرطة، "يس" نائم ولا أستطيع أن أصرخ عليه لينجدني.. أغلقت مذكراتي والقيتها تحت السرير؛ حتى لا يراها "يس" أو أحد.. لا بد وأن ما كتبته حقيقي!

أعصاب جسدي تتلاشى بالبطيء، والصورة تذهب من عيني رويدًا رويداً.. حتى لم أشعر بنفسي بعدها..

وبعد ساعات لا أعرف عددها استيقظت، ولكن ليس في غرفتي، بل بغرفة في إحدى المستشفيات.. أول صوره رأيتها أمامي هي "حسام"..

- حمد الله على السلامة.

- هو إيه حصل؟!
- "حسام": أنا اللي عايز أسألك في إيه؟
- مفيش يا "حسام"، خدت الدوا عادي.
- الدوا اللي بعد الأكل ولا اللي قبله؟ لتكوني اتلغبطي!
- أصلًا خدته ومفطرتش، "يس" كان نايم ومش قادرة أقوم.
- "حسام": كده يا "نور"؟ حد ياخد دوا من غير فطار؟! جالك هبوط حاد في الدورة الدموية، كان ممكن تروحي فيها لولا إني جيت بالصدفة أديلك الفون فتحلي "يس"، ودخلنا لقيناكِ فاقدة الوعي على السرير، بدل الدوا بعد الأكل يبقى مينفعش تحطيه في بؤقك إلا أما تاكلي؛ لأنه تقيل.
- ماشي يا "حسام" حاضر، الحمد لله أنا كويسة، أمال فين "يس"؟
- "حسام": كان بيتكلم مع الدكتور برة، أندهولك؟
- لا خلاص كنت بطمن عليه بس.
- "حسام": على فكرة جبتلك فونك أهو، وسألت على الولد ده لقيت صاحب الشقة سابهوله، وقاله لو حد سأل عليا قوله إني سافرت!
- نعم!!
- "حسام": اهدي، لسه مخرجناش من المستشفى، لتتعبي تاني لو سمحتِ!

- ازاي يعمل كده ويمشي ازاي؟ أنا لسه بحبه يا "حسام"، هو بيكرهني كده ليه؟ ليه بيعمل فيا كده ليه؟؟
- "حسام": يا بنتي اهدي ووطي صوتك، أخوكِ برة مش عايزين حد يحس بحاجة، اهدي واوعي تعيطي، مش عارف أقولك إيه بصراحة بني آدم واطي!

صُعقت حقًا، لم أشعر بألم في قلبي أكثر من هذه اللحظة.. صمت العالم من حولي، ولم أسمع إلا ضجيج قلبي وعقلي، والأسئلة تزداد داخلي دون إجابات..

اللعنة على هذا الحب، بالرغم من جماله إلا أن هناك أشخاص لوثوه، بدّدنا مشاعرنا عليهم ورحلوا.

مثلوا علينا دور الحب باحترافية بالغة.

شوهوا صورته في نظر الجميع، أصبحت كلمة (أحبك) مستهلكة.. تقال لمن له قيمة، والذي ليس له قيمة.

تقال بمشاعر وبدون.

تقال بصدق وبنفاق.

فقط تقال لنية محددة، وعندما تنتهي! انتهت صلاحية الكلمة..

أصبحنا نخاف المرور من طريقه، أو فتح بابه؛ خوفًا أن نقع في فخه الذي سنخرج منه حتمًا محطمين بجرح، على الأغلب لن يلتئم حتى بمرور السنين.

اللعنة على أجمل المشاعر سوءًا في العالم، التي تدعى (الحب) كطبق عسل به سُم، رغم حلاوته إلا أنه مميت في الحال، أو بالبطيء.

حتى أيقظني من شرودي صوت "يس"..

– " نور، نووور" في إيه مالك سرحانة في إيه؟ ومالك عاملة ليه كده؟

بنبرة حادة مرتفعة:

– مالي يا "يس" هيكون مالي يعني؟ قاعدة في مستشفى، عاوز شكلي يبقي ازاي مش فاهمة؟!

تغيرت ملامح "يس" للحزن الشديد وغادر الغرفة.. لم أرفع صوتي عليه ولا مرة واحده فقط من وقت وفاه والداي، شعرت بالذنب حقًا.

– "حسام": إيه يا "نور" بس زعلتيه إيه ذنبه هو؟ أنا مقدر حالتك بس راضيه معلش.

– يا "حسام" والله مكانش قصدي، انت مش متخيل أنا حاسه بإيه دلوقتي، وأعصابي فلتت غصب عني.

– "حسام": طيب راضيه يا "نور".

– حاضر، اندهولي طيب.

– "حسام": احضر "يس" لي.

– أنا آسفة يا حبيبي متزعلش، التعب بس مخليني متعصبة شوية.

وفتح ذراعيه لي واحتضنته بقوة.. بقوة شديدة وكأني أردت لو آخذ قوتي منه.. كنت أتمنى لو أن هذا يحدث، كنت أريد أن أشعر بالحنان، وبأن ما زال هناك من يحتضني، يشعر بوجودي، يحبني، يشعرني بالأمان والراحة.

لا أعلم لمَ بكيت! كنت مفتقدة هذا الشعور حقًا.. أغرقت دموعي أحضان أخي.. صوت العالم كله اختفى، ولم أسمع سوى ضجيج قلبي، وصوت بكائي فقط، حتى أني لم أسمع كلمات "يس" محاولة منه لتهدئتي، أعتقد أني ذهبت عن هذا العالم اللعين لعالم آخر، كنت أتمنى لو أني لا أعود مرة أخرى، فقد يئست هذا العالم السوداوي.. أردد داخلي: "لا تتركني يا أخي، أرجوك لا تتركني".

الآن عدت على كلمات "يس"..

– اهدي يا حبيبتي خلاص مش زعلان والله، اهدي.

و "حسام" يقف وملامح الحزن مرتسمة على وجهه الجميل، لا يستطيع قول أي شيء؛ لأنه يعلم ما بي حقيقة، ولا يستطيع الإفضاء مثلي تمامًا.. بدأت ألتقط أنفاسي وأزيل دموعي لمواجهه هذا العالم مجددًا بقلب صلبًا قوي، ومن الآن سألقي الحزن بين ذراعي أخي، فلم يعد لي سوى ربي وهو بعده، حفظك الله لي يا "يس".

وبعد شهور مضت...

شُفيت قدمي تمامًا، وكأن لم يحدث بها شيئا! يا ألله لو أن قلبي يلتئم هكذا كـ قدمي لكان أفضل، ففي الحالتين يُدعى كسر لمَ كل الأعضاء تلتئم إلا هذا العضو الصغير المتمرد؟!

والآن، أيقنت جيدًا أن الأصعب من كسر العضوي هو النفسي، فأنت لا تدري أين الكسر تحديدًا، فبعد المرور بفترة سيئة تشعر بشيء لا يوصف، فـ كيف سيتم تحديد مكان الألم؟ فبالتالي لا يوجد دواء محدد لمثل هذه الحالات المرضية.. أمراض ليس لها طبيب سوى الله.. أما

العلم مهما تقدم لا يوجد دواء لجبر كسر قلب بسبب فَقد أو خذلان، آخر ما يستطيعون فعله هو تمريض كسر عضو من أعضاء جسدي الفرعية، نعم، قلبي هو العضو الأصلي...

يا ليت كان هناك دواء لالتام روحي وجبر قلبي! لآخذه فيرغم عقلي على نسيان ما حدث له، وأعود سعيدة كـ سابقًا.. كنت أريد الراحة قليلًا من وجع هذا العضو الصغير الملعون.

ولكن الحب ترياق القلب، وترياقه هو الاهتمام..

بالرغم من معاناة قلوبنا به، إلا أن وجوده راحة من بعض الأحمال التي نشعر بها..

فمن الجميل أن يشعر المرء بأن هناك شخص يحبه، شخص يحتاجه، يشعر بمدى أهميته في الحياة.. على الرغم ألا أهمية لهذه الحياة التي نعيشها هي ليست سوى عقاب حَل بنا، ويجب أن نرضى به على أية حال، كذلك الحب لعنة تصيب القلب لا تخرج إلا بخروج الروح من الجسد.. فأمام كل ابتسامة من شفاهنا ندفع مقابلها أنهارًا من عيوننا، أمام كل سعادة نلقى حزنًا من هذه الدنيا، وكأنها تستمد الأكسجين من آلامنا، فعلى أية حال لن نأخذ منها كل شيء... "فالحب جميل بشكل سيء".

ولكن أتعرف؟ لعبت دورًا هامًا في فيلمي، كنت اللص الذي سرق آخر شربة ماء من يتيم فقد والديه أمام عينيه...

سأصف أكثر.. كأن أحضرت أنا الممثلين وألفت الفيلم وأخرجته وأنتجته بآخر ما تبقى لي من مال وجهد، ولم آخذ حتى دَور كومبرس في حياتك!!

أنا لا أجيد تمثيل الأدوار، لكنك لعِبت عليّ دور الحبيب القاسي باحترافية بالغة، وأنا الآن أحاول تمثيل دور أني أعيش بسلام في غيابك.

القلب يتألم، والعين تشتاق، والجسد مُرهق، والإحساس بأي شيء تلاشى، وكل عضو من أعضاء جسدي له قصة مختلفة، أما عني، فـ إني تائهة!

ولكني كنت أكذب حين قلت لأصدقائي محاولة مني للظهور بقوة أنك لم تكن فارق في حياتي، أنت فارق حد السماء.

فأنا هنا تغمض جفوني بقلق، وأنت حتمًا تغازل إحداهن براحة!

أنا أعترف بأني أعطيتك أكثر مما تستحق، وضعتك داخل قلبي بمكان أكبر من حجمك، ولكن هذا ليس خطئي.. قلبي هو المذنب، وأنا كنت كـ Robot ينفذ الأوامر فقط!

فلو كنت أعلم أنك ستذهب مبكرًا هكذا لقلت لك خذ أي شيء يذكرني بك دائمًا؛ حتى لا أموت كل يوم ألف مرة.

إن يومي يمر كـ سيارة تضاءل بداخلها الوقود!

فإني أتضور شوقًا لحديث يجمعنا، ويومًا يأخذنا ضحكًا يميت قلوبنا، وسهرة تأخذ النوم من عيوننا، فهل من لقاء أيها البعيد؟!

فمن أسوأ الفترات التي يمكن أن يمر بها شخص في حياته "أن تموت الحياة داخله، وما زالت رئته تتنفس" أنا بها الآن.

تركت مذكراتي بملل لأتفحص موقع (الفيسبوك) قبل أن أخلد للنوم..
كثير من الرسائل، ومن بينهم "حسام"!
(بعد مرور سنة من سفره بمنحة تبع دراسته عاد إلى مصر)
رسالة بمحتواها
"عاملة إيه يا "نور"؟!".
تغيرت ملامح وجهي من الملل إلى شعور لم أعد أستطيع تفسيره!
احترت كثيرًا، هل أوافق على طلب المراسلة أم لا؟ أنا لا أفتح هذا الجانب من الأبلكيشن بتاتًا، لا أعلم لماذا الآن تحديدًا ذهبت إليه لأتفحصه! الرسالة مرسله منذ أسبوعين تقريبًا.
وبعد تفكير لم يأخذ دقائق.. سأرد، فـ على أي حال شعرت أني أريد التحدث مع أحد، أو بطريقة أخرى اشتقت له كثيرا جدًا..
"الحمد لله أنا تمام، وانت طمني عليك، سوري مشوفتهاش إلا دلوقتي، مش بفتح الـ messages Others خالص".
ومن سوء حظي كالعادة لم يكن نشطًا.
تركت الهاتف وذهبت إلى موتتي الصغرى؛ لعل غدًا يتغير شيئًا أو أجد سببًا للعيش من جديد...

(رسائل لن ترسل)

لم أنجح في نسيانك حتى الآن، فشلت فشلًا ذريعًا.. أستيقظ كل يوم على أمل أن يصير هذا كابوس طويل، ولكن أستيقظ عليه كل يوم، فأصبحت حياتي ككابوس وما كنت أنا عليه حُلم صعب المنال..

(أذاقك الله مُر وجعي)

أتذكر حديث إحدى صديقاتي...

"ماذا حدث لكِ؟ أنتِ تغيرتِ كثيرًا، لستِ أنتِ حقًا.

بهتت ضحكتك، انطفأ وجهك، ملامحك صارت أكبر سنًا، شَحب لونك، أصبحتِ محطمة خارجيًا تمامًا، كنتِ تستطيعين سابقًا أن تخفي مهما كنتِ مدمرة، ولكن الآن أعتقد أن الثُقل زاد حتى سقطتي وما زلتِ ساقطة.. تحتاجين النجدة.. تحتاجين حنان، حب، اهتمام، واطمئنان، فلقد فقد قلبك كل ما يجعله قادرًا على الاستمرار، لم أرَكِ بهذا السوء مُسبقًا! أتعلمين؟ عندما تضحكين بصوت عالٍ أعلم أنكِ تدارين وجعًا بحجم جبال، وكلما ارتفع صوت ضحكاتك أرى لمعة عيونك وهي ترفض سخطها على إخفائك.. أتمنى أن تعودي كما كنتِ منيرة الوجه، مرحة وجميلة، ومتحدثة لبقة.. الآن أصبحتِ أكبر سنًا، وأقل وزنًا، أكثر إرهاقًا، أقل ضحكًا وكلامًا، وأكثرهم همًّا وتحطمًا!"

صرت أبكي وكأن أنهارًا لا تنفذ تنهمر من عيني، ولو كانت بحرًا لجف، لقل، لنفذ.. أخيرًا قال أحدهم ما أتمنى إخراجه من جوفي كما تمنيت أن أعود كما كنت، لكن تأذى جزء من روحي، أو ربما جميعه بطريقة مباشرة أو غيرها، لا أعلم! ولكن على أي حال، لم أستطع أن أعود بشتى الطرق كما كنت أبدًا، حاولت كثيرًا، ولكني لا أستطيع!!

فهل يعود الكوب المكسور كما كان، حتى لو تم تصليحه؟ مستحيل.

أبتسم بالنهار بشكل جنوني، وعند حلول الظلام تشتعل أنوار عقلي الخافتة ولا تكف عن الضجيج، ويعتم قلبي ويبرد، ولا يكفيه ست مدفئات.. هو يحتاج فقط دفء أنفاسك.

أكره غيابك وأعشق وجودك، ولكني كنت أكره نفسي به!

بركان في القلب ينفجر، وظاهري ساكن لا يبالي.

فصارت أسوأ الأشياء حدوثًا في يومي أني أستيقظ من نومي، بعد ما كانت أجملها؛ لأني سأحادثك، ولكني ما زلت أتساءل؟ لماذا وقعت في طريقي أنت من الأساس؟ لماذا الجميع عَبر بجانبي، وأنت الوحيد الذي عبرت من خلالي!

الجميع معي إلا أنت؛ لذلك فقدت إحساسي بالجميع، لغيابك أنت..

شخص وراء الآخر يريدني، وأنا أريد شخصًا لا يريدني.

أنا أعتقد أن قلبي أقسم ألا يدق لغيرك، اللعنة! سأقتلني.

كنت أتقدم خطوتين وأرجع ألفًا، لكن بعد ما حدث فقدت قدماي، لا أستطيع التقدم أو الرحيل.. عَلقت في المنتصف المُهلك!

كان كل ما يهمني قضاء وقتي بمرح، حب أصدقائي، قرب أهلي، إتمام شهادتي، وتحقيق أحلامي.. ولكن الآن، كل ما يهمني أن أراك فقط، أخذت البال من بالي فأصبحت أنت بالي وحالي.

كذب من قال إن الحياة لا تقف على أشخاص غادرونا، بل إنها تقف حقيقة..

مثل ساعة وقعت منها بطاريتها، تتوقف هذه العقارب التي تضربون بها المثل بأنها لا تقف مهما حدث، الوقت يمر بلا معنى، والساعة فقدت كل شيء..

فلو كان هذا الشخص كبطارية الساعة تقف، نعم تقف الحياة.

انتشر الحزن داخلي كغيمة شوهت جمال سماء زرقاء في يوم صافي..

ولكن، أتعلم؟ إنك تقتل نفسك يا عزيزي!

حين تهتم بأولئك الذين يقضون أمتع لحظاتهم بدونك، من تتذكرهم في كل الأوقات وأنت لم تأخذ حتى شبرًا من تفكيرهم، من يهمك أمرهم وأنت لست بالحسبان، من تهتم بهم ووجودك في حياتهم ليس الأهم بالنسبة لهم، هذا سم بطيء، فأرجوك ابتعد،

فأنا حقًا أعتذر لمن كان يجب أن أحبهم ولم أستطع، لكل من هرب إليّ وهربت عنه، لمن رأى فيّ صديقًا ورأيته أبعد، للذين انتظروني طويلًا ولم أسر إليهم، أعتذر إليك أني ما زلت أنتظرك رغم كل هذا، ولقلبي الذي أرهقته بسببك، ولنفسي قبل كل ما سبق..

قطع كتابتي رسالة على ماسينجر.

"حسام" رد على الرسالة بعد يومين من ردي.

- لا ولا يهمك، أنا الحمد لله، آسف على التأخير في الرد، بس مش بفتح كتير من ساعة ما رجعت وانشغلت في العيادة.
- لا عادي ربنا يقويك يا رب، وحمد الله على سلامتك.
- "حسام": الله يسلمك، انتِ عاملة إيه؟
- الحمد لله ماشي الحال.

- "حسام": دايمًا الحمد لله، بس شكلك متضايقة، مالك؟
- لا عادي يعني، بس بقالي فترة بدور على شغل؛ عشان معاش بابا وماما مش مكفينا أنا و "يس".
- "حسام": طب ودي حاجه تخليكِ متضايقة أوي كده!
- آه، عشان "يس" هيقفش ومش هيرضى.
- "حسام": ليه طيب مش هيوافق؟
- طلبت منه قبل كده ورفض، قال انتِ بتهنيني كده، واستني أخلص ثانوية وأنا اللي أنزل أشتغل، أنا الراجل مش انتِ.
- "حسام": طب انا عندي ليكِ شغل، و "يس" هيوافق عليه.
- بجد؟ فين وازاي؟!
- "حسام": أنا محتاج سكرتيرة عندي في العيادة؛ لأن لسه فاتحها جديد زي ما انتِ عارفة، وانتِ أنسب حد للمكان ده، والمُرتب اللي انتِ عايزاه هديهولك.
- بجد يا "حسام"؟
- "حسام": أيوة طبعًا بجد.
- أنا مش عارفة أشكرك ازاي والله، لتاني مرة تنقذني.

ومرّ من أمامي كل ما حدث، حقًا كأنه شريط فيلم مُرّ شوهد مئات المرات ومَل المشاهدين منه..

- "حسام": بتشكريني على إيه انتِ هبلة؟ احنا اخوات ومهما وقعتي في مشاكل هفضل أنقذك برضو، ربنا يعلم غلاوتك في قلبي.

ارتجف قلبي قليلًا أمام هذه الرسالة، فهي في دقيقة بعثرتني، ثم لملمت شتاتي من جديد.

- ربنا يحفظك يا رب يا "حسام"، مش عارفة أقولك إيه!
- "حسام": لا متقوليش حاجة، مش لازم تقولي، أهم حاجه متضايقيش نفسك على أي حاجة بس.
- حاضر.. بس "يس" هيوافق ازاي وهو رافض مبدأ الشغل نفسه؟
- "حسام": لما أقوله إني هاخدك من البيت كل يوم وأروحك، وإن الشغل معايا كمان هيوافق، وأنا هقنعه متخافيش انتِ، ومش هقوله عشان فلوس عشان ميتضايقش، هقوله تسليه ليكِ عادي.
- فكرة حلوة خالص يا "حسام"، ربنا يحفظك ليا يا رب.
- "حسام": ولا يحرمني منك يا حبيبتي.

انتفضت كليًا هذه المرة وليس قلبي فقط، ولماذا دقّ قلبي هكذا لا أعلم! ولماذا رد برسالة غير مناسبة لكلامي أصلًا! هل يقصد هذا؟

لالا كفاكِ غباء، لا يعي هذا شيئًا، إنه مجرد أخ وصديق معي منذ الطفولة، ولكني أتمنى لو كان عكس هذا.

لم أجد ردًا فأنهيت المحادثة على هذا ولم أرد.

لو سألوني عن علامات الحب لأحصيت الكثير منها، ولكن أهم ما يبرز إصابة الشخص بالحب..

نبضات ترتفع عند اقترابه، راحة تسكن القلب والبال بوجوده، لمعان العين عند رؤيته، ارتعاش اليدين في السلام، والقدمين عندما تقدم أن تمر

أمامه، تسمع دقات قلبك عند ابتسامته، تخطف النظر إليه سريعًا دون السيطرة على عينيك قط، يتشتت بالك بحضوره، وتتخبط الحروف بلسانك وتقِل.

تشعر لو أنك تريد أن تفتح العديد من الأحاديث التافهة، وبغيابه حاضر بالقلب والعقل، وكأنه حاضر أمامك.

لن أستطيع إحصاء أعراض هذا المرض، رغم أن هذه علامات وقوعه، إلا أنهم حدثو هذا ليس بمعنى أنك أحببت بصدق، الحب شعور ثقيل، وليس الجميع قادر على حَمله.. فأنت شعرت بهذا وثَقُل عليك حمله، فألقيته ورحلت!!

فأنا لست حزينة عليك، ولكني حزينة على تساقط شعري بغزارة بسبب حزنه عليك، ولكن أنا! أنا لست حزينة.

أتعلمون ما هو الغياب المزيف؟

هو أن يغيب الشخص عن العين حاضرًا بالقلب والوجدان، قادر على رسم ابتسامة على وجهك من مجرد مروره بالذاكرة، قادر على تصوره وكأنه موجود أمامك؛ لأنه لا يفارق مخيلتك.

الغياب من هذا النوع من أصعب ما يكون؛ لأنه يأخذك لعالم ليس لك به أُناس غير موجودين، وكأنهم صورًا فقط، شيء مزيف ومزعج لا نستطيع نسيانه أو لمسه، فعندما نشتاق نتخيل فقط.. ولكن هذا ليس الأصعب على الإطلاق، الأشد صعوبة من هذا أنك كنت من تعداد هذا الغياب في حياتي، رغم حضورك!

ولكنه حضورك.. كان يشبه الغياب، أي أن الأصعب من كليهما هو غياب الحاضر، لا يهم حضور الجسد، الأهم هو حضور القلب والعقل.

كنت أرى العالم من خلالك.. أراه بعينيك ولم يخطر ببالي ولو مرة... ماذا سأفعل لو أغلقت عينيك عن عمد؟!

حدث وأُصبت بالعمى، فتشوشت بالكامل أفكاري، ومبادئي، وبهجتي، وأحلامي، اختفى العالم بمعانيه من عيني، وصرت لا أرى إلا السواد الحالك الذي جعلني مشوشة حتى في، هل هذا كف يدي! ليتني استخدمت عيناي، ما كنت لأحتاج إلى هاتين العسليتين.

من قال إن البعيد عن العين بعيد عن القلب؟ البعيد عن العين هو أكثر الأشخاص حضورًا بالقلب والعقل..

فما زلت أراقب ملامح وجوههم، لعلى أراك صدفة!

ما زال يحدث زلزالًا بقلبي بمجرد تذكره فقط..

ما زال عند مروري بأول مكان جمعنا يدق قلبي!

ما زال قلبي يشتاق لرؤياك، حتى وإن لم تكن تتذكرني، ما زال وما زالت، وأنت لا تزال بعيدًا.

قلبي سيظل صائم عن الحب، ولو لسنين، حتى تأتي أنت وتفطره، ولو بشربة ماء تروي عطشه.

ما أتمناه لا يتمناني، ومن يتمناني لا أتمناه، وما تتمناها أنت لا تتمناك، وهناك آخر تتمناه.. ونظل ندور في نفس الدائرة السوداء، وكل منا داخله قصة مؤلمة لا يود أن يحكيها لأحد، تظل بداخله في غرفة مظلمة، لا

يصل إليها أحد إلا الشخص نفسه، مغلقه بمئات الأقفال بمفاتيح مفقودة!!

كنت أرتب جميع أشيائك المبعثرة، حتى مشاعرك وتصرفاتك.. كنت أهتم بأدق تفاصيلك التي تكاد بالنسبة لك غير مهمة، كنت أظن أنك تشعر بكل ما أفعله، ولكنك لم تشعر حتى بوجودي! كنت أظن وأظن، وخاب ظني! وكانت من أكثر الأخطاء التي اقترفتها أني تعمقت داخلك لأعرفك أكثر، كنت أفضل عن بُعد.

تركت بعثرتي في هذه النوتة الملعونة، وذهبت لأدفن رأسي تحت وسادتي؛ محاولة مني لإسكات ضجيج عقلي، لا أعلم هل سأستيقظ غدًا مجددًا لمواجهة هذا العالم المليء بالسخافات؟ لا أعلم حقًا متى ستنتهي هذه اللعنة!

(رسائل لن ترسل)

كنت سأضعك بين أضلعي عندما تشكو همًا حتى تخرج منه مرتاحًا يا طفلي الكبير، فلو كنت تعلم ماذا يخبئ لك هذا القلب من حب ما تركته يومًا، كنت لعنت نفسك آلاف المرات لما فعلته... لو ترى ماذا أكتب فيك من وراء قلبك هذا لأصاب عقلك خلل من ندمه عليّ، لكنك لم ترَ ولن ترى ولن تشعر، لأنك عندما كنت بجانبي لم تكن تشعر سوى بنفسك!

ولكني لا أفهم لماذا كنت تلاحقني في كل الأماكن، حتى بأحلامي! كنت أبتعد لأني أخاف أن أعلق بقارب مثقوب فـ أغرق، ظللت أركض بعيدًا عنك، ولم أكن أدرك أن الهروب منك في حد ذاته حب، والتظاهر بعدم الاهتمام هو أعلى درجات الاهتمام... إلى أن حدث وأوقعتني في حبك، وأقسم قلبي على ركوب هذا القارب المنهوك البنية، كنا نحافظ عليه سويًا؛ لكي يصل بنا إلى بر الأمان، حتى حدث وأن أخبرك قلبي بما به تجاهك.. هنا كانت نقطه التحول، يا ليتني مارست الصمت لآخر عمري معك! صرت وحدي أحافظ على هذا القارب، ظللت أنت تحطمه حتى غرقت أنا ونجوت أنت أيها السباح الماهر!!

(إليك يا أغبى من أحببت)

استيقظت اليوم على صوته.. "حسام".

- ألو، صباح الورد.
- صباح الخير يا "حسام"، عامل إيه؟
- "حسام": الحمد لله أنا بخير.
- يا رب دايمًا بخير.
- "حسام": كنتِ نايمة ولا إيه؟ صحيتك من النوم؟
- لا عادي، أنا كده كده كنت هصحى دلوقت.
- "حسام": آسف لو صحيتك، مكنتش أعرف والله.
- لا يا ابني بتتأسف على إيه، عادي والله كنت هصحى أصلًا.
- "حسام": على فكرة عادي فدايا، حتى لو مكنتيش هتصحي يعني.
- هههههههه آه فداك طبعًا.
- "حسام": طيب أنا هجيلك يوم الخميس أقنع أخوكِ، بس متقوليلوش إني جاي أتكلم في حاجة، هتصل بيه أقوله إني جاي أقعد معاكوا عادي، ماشي؟
- خلاص تمام اتفقنا.
- "حسام": يلا بقى هنزل أنا الشغل وقومي انتِ كمان انزلي بدل حبستك في البيت دي.
- طيب خلاص هفطّر "يس" وهو نازل دروسه هنزل أنا النادي بقى.

- "حسام": ممكن أخلص العيادة وآجي أرخم عليكِ هههههه أهو بالمرة نتفق هنقول إيه لـ "يس".
- لا أعلم من أين أتيت بهذا الكم الهائل من السعادة التي سخرته بعض الكلمات من شفتيك بين أضلعي عندما علمت قدومك..
- هههههه ماشي يا رخم تنور، لا إله إلا الله.
- "حسام": محمد رسول الله.

هتخرجي مع مين يا "نور"؟ أصلًا بقالك كتير مبتكلميش أي حد من صحابك، هووف ما أنا مش هروح النادي لوحدي!

هقوم أطلع الهدوم وأكلم سلمى.

ولم تمر سوى دقائق لأجد الهاتف يرن باسم "سلمى"..

إيه ده! هههههه، كالعادة يا "سلمى" بتيجي على السيرة.

- "سلمى"! عاملة إيه؟
- "سلمى": الحمد لله يا حبيبتي، وحشاني.
- وانتِ كمان يا روحي، إيه أخبارك؟
- "سلمى": أنا الحمد لله، إيه كنتِ مختفية فين يا زفتة؟
- عادي يا "سلمى" موجودة.
- "سلمى": مالك؟

صمتت قليلًا.. لماذا تُعاد الذكريات من أقل كلمات تقال؟ لِم تواجد في قاموس هذا العالم كلمة "مالك"؟ بعض الوقت لا نستطيع شرح ما بنا حتى نخبر الآخرين، أحيانًا لا نعلم ما بنا لنشرح، أي إجابه ستفي

بالغرض، أي إجابة تستطيع شرح كل ما حل بي وبكل ما يخبئه صدري؟ ما هذا السؤال اللعين؟!

- "سلمى": يا بنتي، سامعاني؟
- آه أيوة معاكِ، أنا تمام، بصي أنا أصلًا كنت هكلمك عشان نخرج، تعالي نروح النادي مخنوقة من قعده البيت ومبخرجش بقالي فترة كبيرة خالص.
- "سلمى": وأنا كنت بكلمك عشان أسأل عليكِ، ونفس الخروجة أصلًا محتاجة أقعد معاكِ، بقالي كتير أوي مشوفتكيش، إلا من آخر مرة لما كنتِ في الشارع مع أخوكِ.
- حصل حاجة ولا إيه؟ ملحقتش أكلمك ساعتها؛ لأن "يس" كان معايا، وانتِ قولتيلي هتسافري لباباكِ فترة الكويت!!
- "سلمى": آه لسه راجعة من شهر، لما أشوفك هقولك، البسي وكلميني أعدي عليكِ ونروح سوا.
- خلاص تمام، لا إله إلا الله.
- "سلمى": محمد رسول الله.

بدأت بالتفتيش في دولابي، ارتديت فستاني المفضل..

جلست لأنتظر قدوم "سلمى"، وكعادتي لا يتوقف عقلي عن التفكير به.. لا أتوقف أبدًا.. الهدنة ملزمة لكل الأشياء على هذا الكوكب عداني، حتى أن الأجهزة الكهربائية تأخذ هدنة!!

أحتاج إلى من يأخذ بيدي ويمر بي من هذا المطاف، فقد صعب عليّ الرحيل منه أو الرجوع حتى للخلف، ما زلت أقف وأنتظر شيئًا يحدث لي.

انقطع الوقود عن كل أنحاء جسدي، إلا جزء واحد ملعون ما زال ينبض؛ ليبحث عنه دون ملل أو كلل.. فما زلت أقول ما بي شيئًا، وبداخلي كل شيء.

فلو كنت أعلم أن هذا سيحدث عندما أحب لكنت أحرقت هذا القلب قبل أن يدق له يومًا ..

فلقد علمني كيف أعشقه ونسي أن يعلمني كيف أسلُك طريق النسيان.

علمني أنتظره عندما يغيب، ونسي أن يعلمني كيف أتجاهل غيابه وأتأقلم عليه.

علمني كيف لا أرى سواه، ونسي أن يعلمني عكس ذلك، فماذا لو غاب للأبد! لا أرى سواه، كُفت عيناي عن غيره إلى أن يعود!

هو نسي وأنا لم أطالب بهذا؛ لأنني لم أتخيل ولو للحظة أن تطيل فترة الغياب، لم أتوقع أبدًا!!

لذلك ينتابني هذا الشعور الذي يجعلني أتمنى رؤياك، مع كرهي لفكرة قلبي يتمناها وعقلي يرفضها، وأظل أنا بين صراع شعوري بين هذين الأحمقين.

متى صرت بكل هذا السوء، وكيف حدث كل هذا التحول؟ أم أنك كنت بهذا السوء وعيون قلبي لم تلحظ قط! فليس من الطبيعي أن يسير كل شيء على ما يرام ويظل كُلاً على حاله.. الطبيعي أن تتعرقل كل

الطرق أولًا ثم تسير أو لا تسير.. ويمل الآخر ويرحل، تتبدل المشاعر كحذائه القديم، تتغير الأجواء والمشاعر والأشخاص، ولكن يسير كل شيء أقل مما يرام بمراحل..

لا أعلم ماذا يفعل هذا القلب منفردًا، فقد رحل عنه الجميع، فـ أين والداي الأن؟ لو كانا متواجدين ما حدث كل هذا، كنت لجأت إليهم على أي حال، أشعر أن الجميع غادرني.. تركوا كل الطرق التي أمر بها، وكأن بي داء أو فيروس مميت.. أريد شخصًا واحدًا فقط يظل بجانبي مهما حدث، لا أريد أكثر من هذا، أعرف أن الله معي، ولكن أحيانًا الفرد يحتاج لرفيق في الطريق ليعاونه على قساوته واعوجاجه؛ ليتجاوزه بسلام.

وأخيرًا حضرت "سلمى".. لتتصل بي.

- "سلمى": يلا انزلي أنا تحت..
- حاضر نازلة أهو.
- "سلمى": أوكي، سلام.
- سلام.
- "سلمى": مالك يا بنتي وشك عامل ليه كده؟
- لا مفيش، افتكرت بس حاجة ضايقتني.
- "سلمى": حصل حاجة بينك وبين "معاذ"!!

ترددت كثيرًا حتى أقول نعم، ولا أستطيع الإنكار، فكل ما بداخلي يرتسم على ملامح وجهي.. لا مفر!

- هبقى أحكيلك بعدين، يلا بينا دلوقت.

وصلنا إلى النادي بعد ساعة تقريبًا.. كنا نتمرن سويًا على لعبة التنس، وتوقفت أنا عن اللعب بعد حادثة وفاة والداي؛ لأهتم بـ "يس" أخي.
جلسنا وبدأت تحكي لي كم كانت الفترة الماضية صعبة، لا بد وأنها لم تكن الأسوأ بالنسبة لي فقط!

- ليه يا بنتي كل ده؟ حصل إيه؟
- "سلمى": والله يا "نور" كانت فترة زي الزفت، لا بخرج ولا بكلم حد، حسيت فجأة كل حاجه اتقفلت في وشي، حتى كورس الإنجلش أجلته، وشغلي سبته، مكنتش عايزة أشوف حد ولا أتعامل مع بني آدمين تاني، يمكن حبيت العزلة أكتر من وجودهم!

لم أستطع أن أنطق بكلمة.. ماذا يحدث؟ وكأنها تصِفُني!

- أيوة هو اللي في دماغك بالظبط، سبت "وائل".
- نعم!! ازاي يعني انتِ بتهزري؟
- لا مبهزرش.
- ليه طيب، ليه خمس سنين يضيعوا؟ عشان إيه؟
- كان لازم أسيبه بعد ما عرفت بالبنات اللي بيكلمهم يا "نور" وبيخرج معاهم، كأني مش ماليه عينه!

فعلًا! عمري ضاع عليه تخيلي؟ عرفت من صاحبه إنه كان ناوي يخطب واحدة فيهم!!

- وانتِ إيه اللي يخليكِ تثقي في كلام صاحبه ده أوي كده؟ ممكن يكون عاوز يوقع بينكوا عادي!

- "سلمى": شفت الشات بينه وبين صاحبه بعيني يا "نور" وهو بيقوله هخطبها، كنت حاسة هتشل من الصدمة!
- بعد الشر متقوليش كده، ميستاهلش تعملي في نفسك كده عشانه أصلًا.
- "سلمى": عارفة يا "نور" حسيت بإيه؟

بدأت تحكي وعينها أخيرًا رغم هذا البؤس تشفق عليها.

- "سلمى": حسيت إني مشلولة، كل جزء فـ جسمي وقف، إلا عيني وقلبي كان بيوجعوني أوي يا "نور".. وعيني مبطلتش دموع! دموع مبتخلصش.. حسيت إن الدنيا فجأة اسودّت في عيني، حب عمري أنا يعمل معايا كده ليه؟ أنا عملتله إيييه؟ خمس سنين راحوا كده عادي؟ حقيقي الحب ده وحش أووي.

ولم تشفق بها عينيها فقط، بل بدأت بالانهيار تمامًا.

- اهدي يا "سلمى" لو سمحتِ، عشان خاطري خلاص بطلي عياط واهدي.. وبعدين عايزة أفهمك حاجة، الحب مش وحش، اختيارنا احنا اللي غلط؛ عشان بنقبل نستنى في حياة ناس لا نشبهلهم ولا يشبهونا، الناس هي اللي وحشه يا "سلمى" مش الحب، الناس هي اللي شوهته.. متزعليش يا قلبي ده ميستاهلش.

ووضعتها في حضني حتى تهدأ.. طلبت من النادل كوب ليمون مثلج؛ حتى يهدئها، وبعد أن تناولته هدأت قليلًا...

عندما بدأت تهدأ قليلًا كانت تأخذ أنفاسها وكأنها تحايل صدرها أن يخرجه بهدوء، وقالت:

- بس أنا حبيته من كل قلبي، فات أربع شهور، وكأنهم عدو عليا أربع سنين، لا عارفة أنسى ولا قادرة أسامح، ولا ينفع أرجع ولا حاسة إني هقدر أبطل أحبه، وواقفة في طريق طويل لوحدي، طريق مشيته معاه سنين مطلوب إني أرجعه تاني لوحدي، حتى إن الذكريات اللعينة وأسامينا اللي حفرناها على كل شجرة، والأماكن اللي زورناها هعدي عليها وأنا راجعة.. والوقت بيعدي بطيء في غيابه، معتقدش النسيان هياخد وقت قليل معايا، أنا مشيته في سنين الطريق ده، أكيد مش هتخطاه في أيام أو شهور؛ لأني لسه بفتكره وبحلم بيه، لسه كل ذكرياتنا معايا، مش عارفة أمسحها ولا قادرة أسيبها، كل ما أشوفها مبعيطش، أنا قلبي بيتقسم نصين من الوجع، بشوف صوره وكلامه كل يوم كأني بشوفه بعد دقيقة من فراقنا..

قطع حديثنا صوت رجل طويل القامة عريض المنكبين، بشعر وذقن شديدة السواد، إنه مدربنا السابق "كامل".

- إيه ده "نور" و "سلمى"؟ ازيكوا يا بنات، عاش من شافكوا!
- الحمد لله يا كابتن احنا تمام..

أما عن "سلمى" فبادلته ابتسامات فقط..

- "كامل": إيه "سلمى" مالها؟ هي كويسة!

بارتباك مني:

- آه آه هي تمام، بس بقالها يومين منامتش كويس، فـ تلاقيها مش مركزة يعني، صح يا "سلمى"!

- "سلمى": آه يا كابتن أنا الحمد لله كويسة، بس مرهقة شوية.
- "كامل": طب إيه هترجعي إمتى للتدريب بقى؟
- "سلمى": بإذن الله قريب يا كابتن.
- "كامل": وانتِ يا "نور" إمتى؟ وحشتني شطارتكوا والله.
- أخويا بس يخلص امتحانات وأوفقه مع الشغل الجديد، هاجي أكيد.
- "كامل": طيب يا بنات ربنا يوفقكوا، أشوفكوا قريب إن شاء الله.
- إن شاء الله يا كابتن.
- "كامل": أستأذنكوا بقى ورايا تدريب. ثم موجهًا كلامه لـ "سلمى": ألف سلامة عليكِ يا "سلمى".
- اتفضل يا كابتن طبعًا.
- "سلمى": الله يسلم حضرتك، شكرًا.
- كامل: .See you

وما زالت "سلمى" يغمرها الصمت، ولا أعلم هل داخلها هادئ كخارجها، أم العكس كما يحدث لي دائمًا!

- "سلمى" إيه رأيك نتمشى شوية؟!
- "سلمى": ماشي يلا.

وسرنا نترجل سويًا في أنحاء المكان ولا أحد منا يتحدث، إما أن الكلمات نفذت أو أن الحديث صار بلا جدوى!

قابلنا الكثير من الأشخاص بأشكالهم.. رجل وعائلته وشباب وإناث، لكن ما لفت نظري هي نظرات الشباب لي رغم ما حلّ بي، وأن مظهري ليس الأفضل، نظراتهم كانت تخبرني أني ما زلت جميلة كما كان يخبرني هو سابقًا..

فهل أفقدني ثقتي بنفسي لهذا الحد!

في الحقيقة هو لم يفقدني ثقتي، هو أفقدني نفسي بأكملها.. أفقدني كل شيء ثم رحل، صرت فارغة تمامًا، فلم أعد أرى نفسي كما كان يصفني هو، كان أروع ما فعله وجوده بأنه جعلني أحب نفسي من خلاله، والآن ذهب بطريقة لم تخطر على بالي قطّ!

ولكني ما زلت أرى في أعينهم نظرة الإعجاب والحب من البعض ولا أهتم لأحدهم، فعندما أراهم لا أرى غير وجهك يرتسم على وجوههم، أخاف أن أبتسم بلا وعي كما كنت أفعل بسذاجة، وكأن عيوني تخبرني أني لا أشتاق إلا لذلك الأبله مهما رأيت من وجوه، لوحته المرسومة بمقلتي لن تزول أبدًا.

لم أعد أرى غيره، وأبحث في وجوه الجميع عنه ولا أجده، لعلي ألمح طيفه، أو عسى الصدفة تحن بي وتضعك بطريقي، أو عساك تجلس في كافيه بجواري! عيناي تبحث بكل تشتت عنك ولا تجدك مهما بحثت دون كلل، وفات الكثير ولم أملّ!

قطع سرحاني صوت "سلمى" تصيح بي..

- "سلمى": "نووور"، يا بنتي؟!
- أيوة أيوة يا "سلمى" في إيه؟

- "سلمى": إيه روحتِ فين؟ عمالة أندهلك.
- معلش والله مخدتش بالي سرحت شوية.
- "سلمى": إيه سرحتِ في إيه يا حبيبتي؟
- لا مفيش، يلا نروح أحسن اتأخرت على "يس" خالص وحاسة إني تعبانة.

من جديد أستكين في كهفي، وكأن ليس لي مأوى سواه، لا أجد نفسي إلا به... نعم، إنه يذكرني بأبشع اللحظات وأسوئها في حياتي، ولكنها كانت تشهد لحظات سعادتي العارمة التي كنت أغرق بها عندما يحادثني، نعم كنت أجلس على هذه الأريكة بجوار نافدتي ليهطل الهواء على وجهي، بينما هو يطرب مسامعي بكلامه المعسول... كان يخبرني كم أنا جميله، وكم هو سعيد بوجودي في حياته.. كان يخبرني بأنه لا يقوى على الحياة بدوني، ولا يستنشق الهواء نقيًا إلا برؤيتي..

كنت أسمع أجمل كلام، ولكني أيقنت مؤخرًا بأنه فعلًا "كلام" ليس أكثر.. كنت غبية عندما صدقت كلامًا لا يصحبه فعل لإثباته.. أين كان عقلي حينها؟! أعتقد بأنه كان بحوزته.

خلدت إلى النوم من كثرة التفكير، فـلم أستطع قطع كهرباء عقلي لعله يرتاح قليلًا.

(رسائل لن ترسل)

كنت أعتني بك كعنايتي لطفل رضيع لا يملك من الحيلة شيئًا لمساعدة نفسه، أ إن كان الأمر صغيرًا أو كبيرًا وماذا أخذت! أكلتني كما تأكل القطط صغارها، لا أعلم هذا جهل أم خوف؟ ولكن في كل الأحوال نهايتهم الموت.. قتلتني بأقل من البطئ بمراحل.

ولكن لدي سؤال..

ماذا ستفعل بكل هذا السوء الذي جمعته من العالم داخل قلبك؟ هل لي من إجابة!

(أدامك الله أسوأ شيء في هذا العالم)

وفي صباح يوم الخميس المتفق عليه أيقظني شعاع الشمس، من المفترض أن الشمس مضيئة وساطعة، ولكني أشعر أنها باهتة للغاية، فلا أعلم هل الخلل بعيني، أم أن العالم فقد بريقه ورونقه عند رحيله!
قُمت بإحضار الغداء ووضعته على السفرة واستدعيته للحضور، فجلس وبدأنا بالتناول..

كعادة كل يوم صمت يعم البيت بأكمله، ابتداءً من الجدران إلى أصحابها.. باستثنائي، فقلبي وعقلي كليهما لم يهدأ قط.. "يس" من أشد طباعه سوءًا أنه هادئ وبشدة... نعم سيء.. الضوضاء أحيانًا لطيفة، كأداة مؤقتة لإخماد ما بنا، لكن لو كانت الضوضاء كحال قلبي الآن! فإن هدوء "يس" ليس سيئًا، بل هو ألطف ما يكون.

قاطع هدوئنا جرس الباب، فيفتح "يس".

- "يس": حسام"!! ويتبادلون الأحضان.
- "حسام": واحشني جدًا والله.
- "يس": وانت كمان يا ابني والله، رجعت إمتى؟
- "حسام": من شهرين كده تقريبًا.
- "يس": حمد الله على سلامتك، اتفضل.
- "حسام": إيه ده "نور"! ازيك؟
- الحمد لله يا "حسام".. اتفضل، حماتك شكلها هتحبك، هههههه.
- "حسام": هههههههه، هو في حما بتحب جوز بنتها برضو!

- "يس": آه يا ابني في عادي، عندك "مازن" أخويا مثلًا.. حماته بتموت فيه هههههه.
- "حسام": يا عم متقاطعش، مش يمكن ميبقاش عندي حما أصلًا! هههههههه.

تغيرت ملامح وجهي، بل إني أعتقد من شدتها أن أحدهما سمع نغمات قلبي المتزايدة.

جلسنا جميعًا لتناول الطعام..

- "يس": المهم قولي انت إيه أخبارك، وعملت إيه لما نزلت؟
- "حسام": الحمد لله كله تمام، لما رجعت مصر من شهرين وشوية زي ما قلتلك فتحت عيادة، وبسوق موقعها على السوشيال ميديا؛ عشان طبعًا لسه جديدة ومش معروفة..

في وسط كلامهم.. "طيب هقوم أعملكوا حاجة تشربوها".

- "يس": ربنا يوفقك إن شاء الله.. والله كنت واحشني جدًا، ناوي تسافر تاني ولا لا؟
- "حسام": لا يا عم خلاص بقى هستقر هنا، وأشوف حد يشيل معايا العيادة دي لأني بطولي فيها والله.
- "يس": ليه لسه ملقتش سكرتيرة ليك ولا إيه؟
- "حسام": لا عملت إعلان وكل اللي ييجي مينفعوش..
- "يس": إن شاء الله تلاقي.

أنا بالداخل رغم أني انتهيت من صنع العصير، لكن التوتر يمنعني من الخروج، ولا أستطيع تفسير ما يقولون أبدًا، ولكني سأدخل لأفهم ماذا يحدث.

دخلت وضعت العصير..

- "يس": لا يا "حسام" "نور" متشتغلش، أنا مش باخد دروس كتير عشان أوفر فلوس، وأخلص بس الثانوية وهنزل أشتغل، دي أمانة في رقبتي، وبابا لو كان عايش كان هيرفض.
- "حسام": ما تخافش يا "يس" والله "نور" هتبقى في المكتب ومحدش يقدر يكلمها، انت عارف إن غلاوتها من غلاوتك، بس أنا فعلًا محتاج حد ذكي وأمين زي "نور"، وأنا مش هثق في حد زي ما هثق فيها يعني، ويا سيدي اسألها لو حد ضايقها قعدها، تمام كده؟

"يس" وجه نظره لي باستسلام؛ لأنه يعلم داخل نفسه أننا بحاجة إلى المال، وقال:

- إيه يا "نور"، إيه رأيك في الكلام ده؟ عاوزة تشتغلي؟
- بصراحة آه يا "يس"، وأنا قلتلك قبل كده ورفضت، بس هو "حسام" جه في وقته بصراحة، أنا زهقانة من قعدة البيت.
- "حسام": شوفت بقى؟ مترخمش خلاص يا "يس".
- "يس": خلاص ماشي.

بابتسامة:

- شكرًا يا "يس" بجد.

- "يس": الشكر لله يا حبيبتي.
- يلا خدوا العصير بقى.

كان من أجمل أيام حياتي منذ فترة كبيرة، لا أعلم لأني سأعمل أخيرًا، أم لأني سأرى "حسام" كثيرًا؟ أتمنى ألا يحدث ما أشعر به، أتمنى ألا أقع مجددًا..

هذه الفترة أشعر بوخز في قلبي لا أعلم سببه، ولكني في أتم الإرهاق النفسي، أفتقد العديد من المشاعر والأشياء، كل الأمور باتت باهتة وليس لها معنى، لا أحد بحياتي متواجد ليدفعني لهذه الحالة المريبة، أو بسبب أني لا أعطي أحدًا فرصة الاقتراب مني، حتى تحت مسمى الصداقة، صِرت أخشى كل المشاعر والعلاقات، رغم أني في أمسّ الحاجة إليها، هذا غريب!!

ما زلت عالقة بأفكاري اللامتناهية بعد إخفاقات عديدة من الخروج، وكأن الخروج أشبه بالمستحيل..

لماذا أنت متشبث بي بهذه الطريقة؟ وكيف عَلقت داخلي بمكان لا أراه ولا أستطيع الوصول إليه؟ على أي حال صمدت كثيرًا واكتفيت...

لا أعلم من أين آتي بكل هذا الصمود والصبر والكتمان، لا بد وأنني لم أجد سلاحًا أقوى منهم لمواجهة تشتتي هذا!

السكوت أحيانًا يريح البال من كثرة التبريرات الفاشلة والمعاتبة على شخص لا يبالي وجودك من الأساس، وأحيانًا كثرته يهلك القلب والروح، يجعلك لا تبالي الجميع، وكأنك تعيش على هذه الأرض

وحدك، فإذا وصلت لهذه المرحلة اعلم أنك وصلت إلى آخر مراحل الاستسلام والبحث عن مرحلة السلام النفسي.. التي أنا بها الآن!

إن الحرية ليست أمنية المسجون فقط، فهناك أُناس بالخارج مساجين أفكارهم، مساجين معتقداتهم، مساجين ذاكرتهم اللعينة التي لا تنسى، مساجين أحلامهم التي لا تتحقق وما زالوا يحاولون، ومساجين أشخاص لا يستطيعون تجاوزهم.. السجن سيء جدًا، وبالنسبة لي المسجون عقوبته أفضل من هؤلاء الأشخاص، فالسجين له مدة من العقوبة محدد وقت انتهاءها.. أما هذا اللجام لا تعلم إلى متى ستظل بداخله!

فكم من نيران تهيج وتخمد حتى تآكلت جدران قلبي، ولم يتبقَ ليشتعل إلا الرماد.. وحده الله من يستطيع أن يقول كن ليكن كل شيء بخير، أو ليطفأ هذا الحريق الذي يأكل أحشائي..

لو أني أستطيع أن آخذ قلبي هذا وأنتزعه من مكانه؛ لأرى ماذا فعلت أنت به حتى في غيابك لا أستطيع إيجاد دواء لعلتك الموجودة داخلي، لا أستطيع أن أدّعي أني أعيش أكثر من هذا؛ لأني ما زلت لا أري نفسي متواجدة بهذه الحياة دونك!

فكل الطرق داخل قلبي مغلقة للصيانة، إلا الطرق الموصلة إليك ما زالت منيرة رغم فساد لمباتها، أعتقد أن قلبي أقسم ألا يدق لغيرك، اللعنة سأقتلني!

فلم أكن أدرك حجم ما أضع نفسي به، أدركت هذا مبكرًا جدًا بعد أن فقدت كل شيء، لماذا لا نبصر العلامات التي يهبنا الله إياها لنرى جيدًا

وبوضوح أن الطريق الذي نسير به الآن سيجلب لنا ملايين الدموع والألم؟ قلبي الملعون هو من فعل بي هذا، مررت بعدة تنبيهات، وكنت أسير مغمضة العقل تمامًا مفتحة العينين، لا أرى سواه، وقلبي لا يريد غيره مهما حدث، كم انا مخطئة بحق نفسي!

(رسائل لن ترسل)

ما زالت صورتك تجول بخاطري، كنت أظن أنني قادرة على النسيان وحدي، لكني فاشلة في كل الأشياء عدا حُبك.. أحببتك بنجاح الطالب المتفوق وبعد مجهودات عدة النتيجة "راسبة".

لا أعلم لماذا أتذكر كل ما حدث بيننا؟ كنت سيئًا حد السماء، ولكني حتى الآن أراقبك من بعيد، أذهب إليك مهرولة من تآكل الشوق بقلبي، وأعود باكية، حتى في غيابك سيء، ماذا أفعل كي أنتشلك من رأسي؟ ماذا أفعل!

(أبادك الله من أعماق قلبي)

أول يوم بالعمل مع "حسام"، أشعر وكأن النشاط يحتضنني، منذ فترة طويلة لم يزرني فيها..

ارتديت أجمل ما لدي، وأحضرت الفطور لـ "يس" أخي ووضعته على المائدة؛ حتى يجد ما يأكله عندما يستيقظ، فـ أخي لن يستيقظ الـ ٩ صباحًا ليفطر معي، فمن الآن سأحتسي قهوتي الصباحية مع الفطور منفردة، على أي حال لا يهم، فنحن لا ننطق حرف واحد بجلسونا سويًا.

هاتفي يرن...

- "حسام": إيه يا "نور" خلصتي؟
- آه يا "حسام" وهنزل أهو.
- "حسام": طيب انزلي بسرعة أنا مستنيكِ تحت.
- هه مستنيني فين؟ تحت البيت؟
- "حسام": أيوة يا هبلة في إيه؟ ما أنا قايل لأخوكِ هاخدك وأروحك كُل يوم.
- إيه ده و "يس" وافق عادي!
- "حسام": آه طبعًا ويقدر ميوافقش؟ كفاية رغي وانزلي، هنتأخر على أول يوم شغل يا هانم.
- أوبس، حاضر حاضر، نازلة أهو سلام.
- "حسام": هههههه سلام يا مجنونة.

وأغلقت الخط.. لا أعلم من أين يأتي وخز قلبي ونبضاته السريعة عند رؤيته أو سماع صوته، ليس لدي علم هل هذا جيد أم سيء! لا أستطيع

تحديد ما أمر به الآن، أأنسبه إلى الإعجاب، أم الحب، أم الاحتياج لشخص يشعرني أن وجودي له أهمية لدى أحد؟ لا أعلم! ولكني أعترف، أصِل إلى قمة سعادتي عند رؤيته، ولا أعلم هل ينتفض قلبي، أم أنه يضرب نفسه في حائط صدري؟ لم يقل شيئًا، ولن أقول شيئًا، ولكني أطمئن بوجوده كثيرًا، ولا أريد التفكير بغير هذا الآن.

مضى أول يوم لي من العمل بإرهاق شديد، لم أكن أعلم أن العمل مرهق هكذا! لكن ليس سيئًا؛ لأني أراه.

- الساعة بقت ١١ يا "حسام"، ممكن أمشي؟
- "حسام": آه طبعًا، استني أنا جاي معاكِ؛ عشان أوصلك.
- إيه لا مفيش داعي، هطلب كريم، روح انت.
- " حسام": يا سلام! كريم أحسن مني في إيه بقى إن شاء الله؟
- هههههههه لا طبعًا مش أحسن منك، بس مش عايزة أتعبك مش أكتر.
- "حسام": ملكيش دعوة أنا بحب التعب، وبعدين وعدت أخوكِ أجيبك وأوديكِ يا هانم، يلا بقى بطلي غَلبة.
- هههههه خلاص يا عم متزوقش.

وصلت إلى المنزل مهلوكة تمامًا، ولأول مرة لم أقدر على فعل أي شيء، حتى أني لم أفكر بشيء، كنت أحتاج أن أنام فقط، لا شيء آخر.

بعد مرور أسبوعين من العمل مع "حسام" الوضع لم يكن على ما يرام بالنسبة لقلبي، فبكل ساعة أفقد السيطرة عليه رويدًا رويدًا..

أشعر أن الأمل يفتح أبوابه لي من جديد، لا أعلم من أين يأتي هذا الاطمئنان عند محادثتك أو رؤيتك، وكيف ومتى حدث بهذه السرعة البالغة! لك تأثير وسحر غريب بقلبي، لا أعلم إلى أين سيأخذني، فأنا خائفة جدًا، أشعر أني أقبِض على قلبي بيدي؛ خوفًا أن يفلت من بين ضلوعي ويذهب إليك.. فلم أعد أملك ما أخسره، تشتت بكل الأنحاء.. فارغة.. أنا فارغة.

لا أجد ما أسرده له عند قربه من قلبي، كلماته البسيطة تلمس قلبي في لمح البصر، تداعب ملامحي لترتسم على شفتي ابتسامه كدت أنساها.. هذا ليس طبيعيًا وليس عدلًا أن أنال كل هذا التشتت وحدي!

في صباح الجمعة لأول مرة لا أفضل الجلوس بالمنزل، أصبحت أحب العمل، وجلوسي بالمنزل يضفي عليّ الاكتئاب، وخصوصًا لو كان هذا اليوم هو بداية لسنة أخرى جديدة، فلم أحضر من قبل طقوس رأس السنة بالخارج، عادة ما أقضيه بالمنزل.. أود لو أرى ماذا يحدث بالخارج، أريد النطق بالعد التنازلي لعامي القديم وأنا أشعر بأني أقطع صفحاته بيدي مع كل رقم يلفظه لساني، إلى أن أصل لـ ٠

جلست أتصفح موقع (الفيسبوك) بملل؛ لأني على دراية بأن هذا العام سيمر كأصدقائه.. لأجد بعد نصف ساعة تقريبًا رسالة من "حسام" لتغير ملامح قلبي قبل وجهي، من الفتور إلى السعادة.

- حسام: بسبس بسبسبس
- انت بتنده على قطة يا "حسام"؟ هههههههه
- "حسام": أيوة انتِ قطة فعلًا.

- هههههههه، ودي شتيمة ولا حاجة حلوة؟
- "حسام": حاجة حلوة طبعًا يا جاهلة.
- ماشي يا سيدي هحاول أصدقك، هههههه.
- "حسام": هههههههه طب بقولك إيه وراكِ حاجة النهارده؟
- لا خالص، إجازة بقى هعمل إيه.. منتهى الملل بصراحة.
- "حسام": طب إيه رأيك نخرج النهارده أنا وانتِ و "يس" للنادي اللي كنتِ بتدربي فيه ده، النهارده رأس السنة وسمعت إن الجو بيبقى تحفه هناك.
- يا ريت والله، بس معرفش "يس" هيرضى ولا لا نفسي أقضي راس السنة برة جدًا وأشوف الجو بيبقى عامل ازاي أصلًا والله.
- "حسام": خلاص عنيا والله، سيبهولي أنا بس كنت بتأكد إنك مش وراكِ حاجة.
- يسلمولي عيونك يا "حسام"، شكرًا جدًا.
- "حسام": انتِ هبلة يا بت! شكرًا على إيه؟ أنا عايز أشوفك أصلًا، أنا اللي المفروض أقولك شكرًا إنك هتسمحيلي أشوفك في يوم زي ده؛ لأني عمري ما قضيته برة برضو، وهيبقى أول مرة أقضيه معاكِ.

ارتبكت كثيرًا، أرى الرسالة ولا أستطيع الرد، لن أنكر بأنني كنت احلق في سماء السعادة، لكني قلقت قليلًا.. فأنا دائمًا أخاف من فقدان السعادة.

من فقدان الشيء الذي أحبه..

من فقدان الأشخاص الذين لا أقوى على الحياة دونهم.
أخاف من فقدان ما لا أريد فقدانه؛ لأني دائمًا أفقد ما لا أتمنى زواله، وكأن جميع اختياراتي ليست صائبة، وكأن كل ما أختاره شرًا عظيمًا يبلع الضوء في نور.
بعد دقائق من النظر لرسالته التي لم أتوقعها من "حسام" رتبت بعض الكلمات لتخرجني من هذا المأزق اللطيف، فدائمًا ما كان "حسام" صامتًا.. صامت تمامًا، أما عن عيونه فـ لا تكف دقيقة عن الثرثرة.

- ربنا يحفظك على الكلام الحلو ده يا "حسام".
- "حسام": ويحفظك يا رب.

قرأت الرسالة وتُهت عن هذا العالم لدقائق فاتت كسنوات لا يقدر الإنسان على عدِها.. وإني في الحقيقة كنت لا أريدهم أن يمروا؛ لأقضي الباقي من عمري بجانب هذا الـ "حسام" الذي حسم أمر قلبي بنظرة لا تزيد عن ثانيتين ليتملك مني إلى أن تزهق روحي إلى السماء.
رن هاتف أخي، وصل صوته إلى أذني داخل غرفتي..
لم أسمع ماذا قالوا.. عدت إلى سريري لأفحص هاتفي سريعًا، حتى لا يعلم "يس" أني أستمع إليه..
دق الباب ودخل..

- "يس": بقولك إيه يا نونو انتِ وراكِ حاجة النهارده؟

بتساؤل:

- لا ليه؟

– "يس": أصل "حسام" اتصل بيا وقالي نخرج النهارده، فقولت أشوفك لو وراكِ حاجة بلاش.

بسعادة:

– بجد نخرج! يا ريت، لا مش ورايا حاجة وقاعدة زهقانة من الفضى ده.

– "يس": طيب خلاص قومي البسي وانا هقوله تمام وألبس.

– أوكاااي، نص ساعة وهتلاقيني جاهزة.

– "يس": هههههههه نص ساعة آه! وآدي نكتة من نكتك البايخة.

– هههههه الله ليه يا عم ده أنا سمعتي وحشة أووي!

– "يس": أوي أووي هههههههه.

يلا هسيبك بقى تتدلعي في اللبس براحتك، وأنا كمان هعمل حاجات كده وألبس.

– خلاص أوكاااي .. وخرج.

انتفضت من سريري بسعادة تغمرني من خصلات شعري إلى أصابع قدمي.. بحثت في الدولاب، وبعد فوضى من الملابس المتناثرة بأنحاء الغرفة على السرير والأرض، جلست قليلًا لأفكر.

– تلبسي إيه يا نونو تلبسي إيه؟؟ باااس كده، هو الدريس البينك ده، بتفائل بيه وبحبه جدًا.

بعد دقائق رن هاتفي.. أخذته بلهفة لعله "حسام"، لأجدها "سلمى".. بتيجي في أوقات يا "سلمى"! هههههه.

- ألو.
- "سلمى": عاملة إيه يا حبي؟
- أنا تمام الحمد لله، انتِ إيه أخبارك؟
- "سلمى": الحمد لله ماشي الحال.
- الحمد لله يا روحي.
- "سلمى": بقولك إيه انتِ فاضية النهارده؟ كنت عايزاكِ ضروري.
- لا يا حبيبتي والله أنا نازلة، في حاجة ولا إيه؟
- "سلمى": لا كنت عايزة أقولك على حاجه كده خنقاني.
- باستغراب:
- حاجة إيه!
- "سلمى": خلاص لما أشوفك بقى، قوليلي انتِ رايحة فين؟
- نازلة النادي بتاعنا أقعد شوية عشان زهقانة من قعدة البيت.
- "سلمى": أوكاااي يا حبي، خلاص لو رجعتي بدري اتصلي بيا أجيلك.
- حاضر يا قلبي.
- لا إله إلا الله.
- "سلمى": محمد رسول الله، باي.
- باي.

وأغلقت الخط ثم واصلت التحضير..

استغرقت أكثر من ساعة في اللبس.. كان عندك حق يا "يس" حافظني الجزمة، هههههههه.

لم أنهِ الجملة لأجد يداه تدق بابي، وبصوت مكتوم من وراء الباب:

– النص ساعة خلصت من ساعة يابشا.

فتحت الباب وأنا أضحك بشدة..

– على فكرة خلصت، حتى بص.

– "يس": واااو! إيه القمر ده يا بت؟ بمرح: لو عايزة تقعدي ساعة كمان معنديش مشكلة خالص.

– هههههههه استنى أدخل أحط فول ميك اب عشان أبقى قمر أكتر.

– " يس": تعالي يختي هنا، هتبقي قمر أكتر وتتعاكسي، مش عايز أتخانق مع حد النهارده أنا.

– بتغير عليا يا كوكي!

– "يس": آه طبعًا، مش أختي اللي مليش غيرها! لازم أغير طبعًا.

ألقيت نفسي بين ذراعيه؛ لأستمد منه الأمان الذي افتقده بعد وفاة والداي..

ثم رن هاتف أخي، قبّل رأسي ثم تناوله من جيبه ليرد على المتصل..

– "يس": إيه يا ابني انت فين؟ احنا خلصنا.

طيب تمام خلاص نازلين أهو باي.. وأغلق الخط.

– يلا يا حبيبتي هو مستنينا تحت.

– أوكااي هجيب الشوذة.

بعد دقائق كنا بالأسفل..

نظراته! نظراته لا أستطيع أن أتخطاها أبدًا، كانت أجمل ما رأيت، خرج من السيارة أجمل حالًا مما هو عليه كل يوم، سلّم على أخي ثم وجهه أنظراه إليّ وحولها إلى "يس" مرة أخرى، ثم قال بمرح:

- "حسام": إيه يا ابني انت مجبتش اللمضة معاك ليه؟ وبعدين مين القمر ده؟!
- "يس": هههههههه يا عم ما هي اللمضة قدامك أهي، بس متشيكة شوية.
- "حسام": يا عم لا يا عم انت بتهزر، هههههههه.
- لمّ نفسك يا "حسام". لأضربه بخفة على كتفه.. أنا قمر طول عمري على فكرة انتو أصلًا اللي معندكوش نظر.
- "حسام" بمرح: هههههههه، دي حقيقة. سيبنالك انتِ النظر كله.

"يس": هههههه، هتفضلو تناقروا كده كتير ومش هنخرج أنا عارف.

- هو اللي بدأ يا "يس" قدامك أهو، الله!
- "حسام": هههههههه خلاص طيب، يلا اركبو هنروح نادي.
- "يس": نادي إيه؟
- "حسام": اللي كانت "نور" بتدرب فيه، طبعًا عارفاه يا "نور" صح؟
- آها لطيف أووي يا "يس"، والمكان حلو جدًا.
- "يس": طيب خلاص تمام، يلا بينا.

بعد ساعة إلا تلت تقريبًا وصلنا، كان الطقس رائع والأجواء أروع، لا أعلم لأن الربيع داخلي حضر، أم أن الطقس كان فعلًا رائع للجميع! أكلنا وترجلنا كثيرًا.. اليوم كان أكثر من رائع، حتى أتت الساعة الـ ١١:٥٩.

ليعدّ الجميع متلهفًا لبدأ سنه جديدة، لا يعلم منا هل هي الأفضل أم الأسوأ! متلهفين بآمال وطموح بأنها أفضل من كل ما سبق، وهذا عادة كل عام.. نأمل، وكل ما بقي فهو لله.. ليقول الجميع بصوت واحد لا يسبقه آخر (١٠،٩،٨،٧،٦،٥،٤،٣،٢،١)

حتى انتهى الجميع عن العد، ليصيح الكل بفرح، وكأن الله ألقى في قلوبهم جميعًا.. عن السرور الذي سيحل عليهم هذه السنة.. لا أعلم هل هم كانوا حقًا سعداء، أم أنه كان حال قلبي ليغمرني ويتهيأ له أن الجميع سعيدًا مثلي! نظر لي بعد العد، وكأنه يحاول النطق، لكن وجود "يس" منعه، هو صامت أما عن عينيه كانت تثرثر لي بألطف العبارات، وكانت أبرز ما قرأت أنهيت السنة بكِ وبدأتها بكِ، وما أجملها بداية ونهاية.

كانت الأمور تشبه البكاء لسنوات، ليأتي أحدهم على مهل لينزع منك الدموع ويفرغ ما بقلبك من سوء بوعاء، ويهم بدفنه في صحراء عظيمة.. فلم أعثر بعدها على شيء سوى البهجة، لينغمس أحدنا بالآخر، لا أعلم هل سقطت أنا ببهجته، أم زرعها هو داخل أحشائي!

(رسائل لن ترسل)

ماذا حلّ بي بهذه السرعة؟ لمَ ألمح قلبي كالبرق هرول إليك وإلى قلبك؟ أتعلم نظراتك هي من أتت بي إلى هنا! كانت أقوى السهام، فـ أصابت قلبي فـ أرق مكانًا فيه.

لا أعلم متى ولماذا وكيف، ولكن هذا ما حدث، ولكني ما زلت مندهشة بالطريقة التي أحضرتني بها إلى هنا!

أنت بارع.. أي عيون هذه لتخبرني بكل هذا في أقل مدة لتفتن لي عما بداخلك بأوامر منك أيها الفارس.

كنت أنصت إلى صمتك بكل راحة.. كان يخبرني الكثير والكثير دون خروج حرف واحد من فمك!

ما زلت لا أعلم كيف، ولكني عرفت لماذا؛ لأنك (سيكرت سانتا) هذا العام الجديد.

(إلى عالمي الجديد)

جلسنا بالكافتيريا القريبة من ملعب التنس، تحدثنا قليلًا وشربنا، حتى سرحت من بينهم في أحد اللاعبين، كان لعبه أكثر من رائع، حتى نده "حسام" على النادل؛ ليحاسب على ما طلبناه.

- النادل: اتفضلي يا آنسة.
- نعم إيه ده!
- "حسام": تتفضل إيه؟ هات الشيك أنا اللي هحاسب، بتديهولها ليه وأنا اللي ناده عليك؟
- النادل: أنا آسف يا فندم، بس دي الأوامر.
- "يس": أوامر إيه هو في إيه يا جماعة؟
- "حسام": أنا مش فاهم بصراحة في إيه؟

وهم يتصارعون ألقيت نظرة داخل الشيك، لأجد ورقة مكتوب عليها "وحشتيني يا وردتي أوي".

وردتي؟! ده!!

مكانش في حد غيره بيقولهالي ازاي، وحشتيني!! ازاي... بدأت الصراعات تهيج داخلي دون رحمة.. من أين أتى ولماذا الآن؟ لقد نسيتك واعتدت هذا.. لماذا عُدت؟!

سحبت الورقة سريعًا، وأعطيت الشيك لـ "حسام"، وسرعان ما لاحظ توتري، وأعتقد أنه رأى ما هو مكتوب بالورقة؛ لأنني كنت أجلس بجواره وأمام "يس"، أما عن "يس" كان مشغولًا بأسالة للنادل، وهو لم يعطه اي إجابات مفيدة..

- "يس": شغال جديد هنا ولا إيه؟ إيه الهبل ده! عنده تعليمات يدي الشيكات لستات بس!
- "حسام": خلاص يا عم فكك.

ودفع "حسام" وتحركنا لنستنشق الهواء قليلًا.

بعد ربع ساعة تقريبًا محادثات، وأنا لست بينهم إلا جسد..

- "يس": في إيه يا "نور" مالك؟ من ساعة حوار الشيك ده وانتِ متنحة ومكلمتيش كلمتين على بعض!!

لم أجد إجابه مقنعة لأرد بها..

- عادي يا حبيبي مفيش حاجة، بس عندي شوية مغص كده مزهقنّي.
- "يس": من إيه طيب؟ ده انتِ مكلتيش كويس حتى!
- مش عارفة بقى، هروق دلوقتي وهبقى تمام.

"حسام" أول كلمة منذ عدة دقائق صمت، غالبًا لأنه بدأ يفهم ما حدث..

- خلاص يا "يس" سيبها يمكن تعبت شوية ولا حاجة. ثم وجّه أنظاره إليّ بضيق، قرأتها بعيونه: احنا هنتمشى شوية وبطنك هتفك.. يلا.

لم أنطق بكلمة، وُضِعت بموقف سيء جدًا جدًا أمام "حسام"، و "يس" بموضع شك بسبب هذا الملعون، ما عدت أطيق سيرته حتى أو صورته أو أشباه صوته واسمه، فلماذا عاد؟!

الأسئلة تجول بخاطري ولا أجد إجابات، ولا حتى أستطيع البكاء.. انتهى اليوم بسلام وعدت إلى منزلي أخيرًا، شعرت أني أريد الاختفاء والاختباء من كل شيء، حتى "حسام" نظراته لم تكن مطمئنة على غير عادتها.

(رسائل لن ترسل)

من أين أتيت ومن أتى بك إلى هنا، ومن سمح لك أن تعود إلى حياة شخص دون استئذان؟ ولماذا عدت عندما كفيت عن احتياجي لك؟ لماذا تذكرتني في الوقت الذي بدأت نسيانك به وألفت غيابك؟ لمَ هذا التعقيد أيها الأبله المعتوه، لماذا؟! لماذا عدت؟ لم أعد أريدك، حتى أن صورتك بدأت تتلاشى من مقلتي، لا أريد نقشها مجددًا، لمْ تفعل سوى السوء بحياتي، ولم أعد أشتاق لك، وأنا لست وردة، أصبحت صبارًا.. اقترب لأريك معنى الوجع والمر والقسوة الذي شربتهم ضلوعي دون الماء الذي يروي الوردات، فعنوانك خاطئ، أنا لست وردتك ولم أعد أريدك بحياتي مجددًا، فارحل وكفاك عبثًا بحياتي، كفاك!

(عُد حيث أتيت ولا تعود)

ولأول مرة أكتب رسالة وكأنه سيراها، كنت أتمنى هذه المرة أن ترسل.. انتهى هذا اليوم، ومن هول دوشة عقلي ذهبت في أعمق من أعمق نوم، وكأني حقًا أريد الاختباء وإلغاء الوجود.

وها أنا وجدت من جديد في الصباح التالي، لا أعلم بماذا سيمر قلبي به! هل سأحظى بالهدوء، أم أعاني من مغامراتي التي لا حدود لها؟ وكأني بطلة خارقة لا يهدأ لها خاطر ولا يروق لها بال، وفي الحقيقة حياتي مملة لأبعد حد، ليست بهذه الحركة مطلقًا!

أخذت أحدّث نفسي..

- بس هو اللي حصل امبارح ده بجد؟ هو رجع ليه وازاي وحشته؟ وكان بعد ليه من الأساس طالما هوحشه! ليه عمل فيّا كده ومشي، حتى مقاليش سلام! يا رب رجعته ليه تاني؟ أنا ما صدقت أنساه.. سنتين عدو مكنتش عايزاه يرجع أبدًا والله.. وليه "حسام" عاملني بالشكل ده! أكيد افتكر اللي حصلي وبدأ يراجع نفسه، وإنه يدي فرصة لنفسه حتى.. دايمًا بخسر كل حاجة سوا، زي ما وجوده كان مبوظلي حياتي رجعوه قضى على اللي باقي منها، وأتمنى أخويا يدوملي.

قطع عزلتي رنين الهاتف، كانت "سلمى"، وكأنها طوق النجاة من دوشة أفكاري الغارقة بها.

- أيوة يا "سلمي" اتصلتي في وقتك والله.
- "سلمى": إيه ده في إيه! مالك يا "نور"؟
- محتاجة أشوفك النهارده، تعاليلي شوية.

- "سلمى": خلاص حاضر، اديني ساعة كده.
- طيب حاولي متتأخريش.
- "سلمى": حاضر يا قلبي، يلا باي.
- باي. وأغلقت الخط.

وبعد ساعة تقريبا جائتني رسالة، انتبهت لها؛ لأن صوتها مزعج، أخذت الهاتف بعدم اهتمام لألقي نظرة على المرسل..

"معاذ"!!

كان نص الرسالة "وحشتيني، أنا آسف".

حتى صرت أبكي وأضحك معًا، ولا أعلم أيهما لديّ يغلب الآخر، وصرت أتمتم.. آسف! آسف إيه؟ بعد سنتين مشي وسابني، وأنا معرفش عملت إيه حتى! خد اللي عايزه ومشي وسابني، ووحشته على أي أساس؟ ازاي وحشته! وآسف على إيه ولا إيه ولا إيه؟!

لم أكمل دقائق حتى وصلت "سلمى" تطرق باب غرفتي..

- أخيرًا جيتي! الحقيني.
- "سلمى": في إيه بس؟ اهدي.
- "معاذ" بعتلي رسالة يا "سلمى" على الفون وفي النادي مع الويتر، قوليلي رجع ليه!!

ولا أستطيع السيطرة على مطر عيني.

- .....
- ساكتة ليه يا "سلمى" ما تردي عليا!!

يعم الصمت بأرجاء "سلمى" إلا عيناها مليئة بعلامات تعجب، لا أستطيع تفسيرها

- إيـه؟!
- "سلمى": بصراحة مكنتش ناوية أقولك؛ لأنه محلفني، بس عرف رقمك مني.
- نعم!!

طال الصمت دقائق عند كلانا، فقدنا الكلام، نظرات متبادلة فقط، انتفضت من مكاني بعدها لأصرخ بها بصوت مرتفع، فأخي ليس بالمنزل وأنا فقدت أعصابي..

- انتِ اتجننتي ولا إيه يا "سلمى"!! وازاي متاخديش رأيي ازاي؟
- "سلمى": اهدي بس هفهمك والله يا "نور"، اهدي.
- اهدى إيه وزفت إيه! بتديله رقمي ليه؟ وبعدين استني كده، وصلك ازاي أصلًا؟
- "سلمى": يا ستي هفهمك، اقعدي كده واسمعيني وبطلي زعيق.
- اتفضلي قوليلي ده حصل ازاي؟

"سلمى" وبدأت تحكي...

(فلاش باك)

- بقولك إيه يا "نور"، أنا هنزل التدريب تاني، محتاجة جدًا أخرج طاقتي، قعدة البيت بقت زهق أوي بصراحة.

- فكرة حلوة يا "سلمى" والله، بس بلاش آجي معاكِ النهارده، روحي انتِ النهارده، وأنا خليني يوم تاني.
- "سلمى": لا عشان خاطري تعالي شجعيني، مش لازم تبدأي النهارده، اقعدي معايا بس.
- طيب خلاص حاضر، بس لو تعبت همشي.
- "سلمى": أوكاي يسطا.

بعد ساعتين تقريبًا كنا وصلنا أمام بوابة النادي.. بدأت "سلمى" بالتدريب مجددًا، صرت أصفق لها بحرارة وهتافات عالية مني؛ لأنها موهوبة منذ صغرها بهذه اللعبة، منذ أن تركنا التمرين لأكثر من سنتين، ليست مدة قصيرة، ولكنها ما زالت موهوبة حتى الآن، سعدت كثيرًا لأجلها، لم أرَها سعيدة هكذا منذ مدة طويلة، وأنا أيضًا عليّ العودة إلى السلة قريبًا، فهي وبلا شك كانت رياضتي المفضلة، ولديّ العديد من الميداليات، ولن أتوقف عن التقدم بها.

ظللت أشجعها وأصفق لها بحرارة، لم يمر على وجودي سوى ساعة أو أكثر تقريبًا..

شعرت بالتعب يتزايد ولا أستطيع الجلوس دقائق أخرى إضافية.. استأذنت الكابتن لأخبر "سلمى" شيئًا..

- أنا همشي يا "سلمى" مش قادرة أقعد والله تاني.
- "سلمى": طيب يا روحي اطلبي أوبر طيب عشان توصلي أسرع، وابقي اتصلي طمنيني عليكِ لما تروحي.
- حاضر بإذن الله، خدي بالك من نفسك، بالمناسبة كنتِ هايلة.

"سلمى" ضمتني إليها دون كلام:

- شكرًا إنك جيتي معايا تشجعيني وانتِ تعبانة كده.
- انتِ هبلة يا بنتي! احنا اخوات، ربنا يحفظك ليا يا رب، همشي أنا بقى وروحي عشان الكابتن بيشاورلك.
- "سلمى": ماشي يا قلبي، باي.
- باي.

عُدت إلى المنزل في غضون نصف ساعة بأوبر.. بدلت ملابسي واستلقيت على السرير، ولم أشعر بنفسي وقتها من شدة التعب.

عند "سلمى".. انتهت من تدريبها بعد ذهابي بساعة تقريبًا.

- "هنا": "سلمى"، أنا رايحة أغيّر.
- "سلمى": طيب تمام، هجيب حاجتي وأجيلك.
- "هنا": ماشي.
- ذهبت لآخذ الفوطة والشنطة والشوذة الخاصة بي، حتى أوقفني صوت لا أعلمه.
- "سلمى"، ازيك عاملة إيه؟

"سلمى" باندهاش:

- أنا تمام، مين حضرتك؟
- أنا "معاذ".
- "سلمى": "معاذ"!!

(رسائل لن ترسل)

لماذا عُدت؟ ولمَ المرء عندما يتوقف عن تمني شيء يأتي تحت قدميه مستسلمًا؟ لماذا عُدت عند توقفي عن مطارداتك التي كانت تلاحق خيالي رغمًا عني! رغم أن غيابك كان مؤذٍ إلا أني تخطيته بكل شجاعة، فحضرت أنت الآن لتربك افكاري ونبضاتي وعيناي وحياتي دون أدنى مُراوغة، أنت لست سيئًا، السوء أساسه هو أنت، فبالله ابتعد، لقد لملمت شتاتي بصعوبة بالغة، أرجوك لا تُهدر مجهوداتي أرضًا، لا تقتُلني أكثر من مرة، فليست لديّ الطاقة لأفعل كل هذا من جديد، أرجوك عُد من حيث أتيت، وبلا رجعة.

(أتمنى لك السعادة بعيدًا عني)

- "معاذ": عارف إنك هتستغربي، وعارف إنك أكيد مش طيقاني وكرهاني كمان، بس اسمعيني واديني فرصة أتكلم يا "سلمى" بس.

"سلمى" بعصبية زائدة:

- أدي لمين فرصة وعايز مني إيه أصلًا؟ بص يا "معاذ" لو عايز تفتح موضوع "نور" فـ انتهى من سنتين، وانت جيت متأخر أوي.
- "معاذ": أرجوكِ اسمعيني، انتِ متعرفيش ظروفي، أنا محتاج مساعدة، ومفيش غيرك هيقدر يساعدني.
- "سلمى": أنا أساعدك ليه أصلًا أنا مالي بيك؟ بعد اللي انت عملته مع صاحبتي متستاهلش إني أقف معاك الوقفة دي حتى.
- "معاذ": أنا عايز أتجوز "نور".

"سلمى" بتهكم:

- هههههههههه أفندم! تجوز مين؟ "نور"!

حقًا الله يأخذ الحقوق بشكل مذهل، يأخذ الحقوق بكل قوة وحزم وعدل، لم أعد أنبهر بأي شيء، ولكن حقًا الطريقة الذي أخذ الله حقي بها مذهلة، وكأنها قصة يعاد تشغيلها للمرة الثانية، كانت بشريطي والآن تُعرض الإعادة لديه بشريط حياته.

"معاذ" ونظرات الضعف لم تترك وجهه للحظة منذ بداية الحديث:

- لو سمحتِ اديني فرصة أتكلم واحكمي في الآخر، ولو رفضتي أنا برضو مش هسيب "نور" وهعمل كل حاجة عشان تكون بتاعتي.

- "سلمى": يا آدي الليلة!! ثم فكرت لدقائق: تمام اتفضل، أديني قعدت وسمعاك ها!

"معاذ" بدأ يحكي، ولاحظت أن عينيه من الحزن باتت لانعكاس ما حولي داخلها خراب، خراب فاق حدود الوصف.

- أنا مش عارف أبدأ منين، بس أنا اللي عملته ده كنت شارب، وعمري ما شربت في حياتي بالشكل ده، عارف إنه مش مبرر قوي للي حصل مني، بس السبب في شربي الكم ده من الخمرة والمخدر واحد حيوان قعد يقولي جرب جرب، لحد ما أغمى عليا وسابني في الشقة ومشي، وقتها اتصلت بـ "نور" والفون وقع مني ومفوقتش إلا على رن جرس الباب منها، فتحت وحصل اللي حصل، معرفش ازاي! أنا مكنتش حاسس بعمل إيه ولا حاسس بنفسي أصلًا، أول ما شفت هدومها غرقانة دم اتصدمت ومشيت، لقيت نفسي بجري في الشارع ومش عارف رايح فين! أنا كنت تايه يا "سلمى"، مكنتش عايز أفتكر حتى اللي حصل مني ده، كنت محتاج أنسى، أنسى حتى نفسي، أنا في الحقيقة مهربتش منها، كنت بهرب من نفسي وقتها، أنا بحبها ولسه بحبها.

وبدأ يبكي بانهيار.. لم أكن أصدق أن هذا "معاذ"! وأين ذهبت كل هذه القسوة والجبروت والجحود؟ أين ذهب كبريائه العظيم الذي انهال على "نور" دون رحمة منه؟!

- "سلمى": وده مبرر كافي للي عملته ده يا "معاذ"؟ ولا يشفعلك عند ربنا ولا عندها.

وبدأ يستجمع أنفاسه بعد سؤالي ليقول:

- ربنا خلص حقها مني يا "سلمى" خلاص، حق "نور" رجع وبزيادة كمان.

"سلمى" باستغراب:

- ازاي!!

- أنا أبويا متوفي يا "سلمى"، وأختي الكبيرة كانت بتشتغل، وكنت أنا كمان بشتغل، بس بصراحة من غير مرتب "نهى" مكناش هنعرف نعيش بمستوى كويس زي اللي كنا عايشين فيه، هي كانت قايلالي إنها شغالة في مستشفى خاص، وطبعًا عشان كنت بني آدم تافه مكنتش مركز مع أهلي خالص ولا معاها هي بالأخص، يعني مكنتش أتخيل إنها تكون شغالة في شقة مشبوهة وحامل من واحد حيوان، خد اللي عايزه ورماها.

وبدأ يخبط بيده على المنضدة بعصبية شديدة.

"سلمى" بفزع:

- إيه! مش يمكن كانت متجوزة من وراكوا؟

- في يوم بدأت أشك في تصرفاتها وشكلها، على طول تعبانة وبتنزل برضو، مشيت وراها لحد ما وصلت لعمارة شكلها غريب، لقيت بواب تحت البيت، لسه هسأله لقيته أول ما شافني ابتسم ابتسامة مفهمتش معناها إلا لما نطق جملة "أكيد يا بيه انت طالع الشقة اللي في الدور الخامس، هههههه إن شاء الله مش آخر مرة".

سبيته وجريت على فوق، بخبط على الباب لقيت ستات وبنات بشكل مش قادر أوصفهولك، شديت أختي من بينهم، سبحان من صبرني لحد ما روحت البيت، فضلت أضرب فيها لحد ما نزفت، ومكنتش عارف إيه سبب النزيف ده! وأمي منهارة، كان هاين عليا أموت نفسي.. جريت في الشارع بيهم زي المجنون لأقرب مستشفى، يمكن ألحقها، وأنا مش عايز ألحقها أصلًا، كان هاين عليا أقتلها، لحد ما وصلت...

سالت دموعها، ولا تعلم على من! عليه أم على أخته؟

- المستشفى، وعرفت إن لو كنت قتلتها مكانتش هتموت لوحدها، بس هي ماتت!

"سلمى" ملامح الصدمة احتلت وجهها بصمت تام، وهو يبكي، ثم تابع..

- على ما وصلت المستشفى كانت ماتت يا "سلمى"، أختي ماتت بسبب حيوان، ربنا عاقبني عقاب مكنتش أتخيله في يوم.. بعد ما سمعت الخبر أمي مستحملتوش، دخلت المستشفى، جالها جلطة في المخ، فضلت أكتر من ٨ شهور في المستشفى، بشتغل عشان أجيبلها المصاريف، أما أنا فشبه ميت خالص مش عايش، ماتت أمي مستحملتش التعب، ولا كانت قادرة تتخطى إن بنتها كانت حامل في طفل زنا، بعد وفاة أمي كل حاجة باظت، أنا مكانش ليا حاجة غيرهم هما أهلي كلهم في محافظات تانية، كان نفسي ربنا يخدني أنا مش هما، أنا السبب أنا السبب.

ثم انهار باكيًا كالطفل، ولم تستطع "سلمى" حتى أن تهدأ من روعه، يا أللّه بدون شماتة، كيف يأخذ الله الحقوق هكذا! أعانه الله على عقابه هذا.

- طيب خلاص اهدى بس يا "معاذ"، ربنا يرحمهم ويغفرلهم ويصبرك يا رب.

"معاذ" بعد أن بدأ يستجمع الكلمات من جديد:

- يا رب.. عرفتي بقى عايز أوصلها ليه؟ لأني عمري ما نسيتها، وربنا خد حقها خلاص، بتمنى تسامحني وترجعلي، أنا عاوزها، أنا لسه بحبها يا "سلمى" والله.. ساعديني لو سمحتِ.

- "سلمى": حاضر يا "معاذ" هعمل اللي أقدر عليه والله، مع إن عارف لو "نور" عرفت بالقعدة دي ممكن تقاطعني فيها، بس هحاول والله، أوعدك..

"معاذ" بأسلوب يغلب عليه الانكسار والحسرة:

- شكرًا جدًا يا "سلمى". وهمّ بالنهوض: آسف بقى لو كنت عطلتك عن حاجة ولا طولت عليكِ.

- "سلمى": لا عادي ولا يهمك، أنا اللي آسفة عن أسلوبي في الأول، أتمنى تكون مقدر موقفي.

- "معاذ": أي حد مكانك كان هيعمل اللي عملتيه ده وأكتر، دي صحبتك وزي أختك، أنا عارف ده ومقدر، بس ممكن رقم أقدر أتواصل معاكِ فيه؟!

"سلمى": آها طبعًا. أعطيته وذهب كل منا بطريقه.

بعد عدة أيام هاتف "سلمى" يرن:

- ألو.
- ازيك يا "سلمى" عاملة إيه؟
- "سلمى": تمام، مين معايا؟
- أنا "معاذ".
- "سلمى": آها ازيك يا "معاذ" عامل إيه؟ معلش مكنتش واخدة رقمك فمعرفش إنه انت.
- "معاذ": أيوة ما أنا عارف ولا يهمك، الحمد لله أنا كويس.
- "سلمى": وإيه أخبار شغلك، ماشي تمام؟
- "معاذ": مفيش حاجة ماشية تمام من غيرها يا "سلمى".
- "سلمى": أقولك على حاجتين بصراحة؟
- "معاذ": أقولك أنا حاجة منهم؟
- "سلمى": إيه؟
- "معاذ": لسه مش مصدقة إني لسه روحي فيها، وفاكراني بكدب عليكِ.
- "سلمى": بصراحة آه، وحاجة تانية، خايفة أواجهها بيك.
- "معاذ": عندك حق، بس هقولك حاجة، وصليني بيها بأي شكل، وانتِ هتتأكدي بنفسك إني مكنتش عايش من غيرها.
- "سلمى": حاضر.
- "معاذ": نفسي أشوفها بالله، حتى لو من بعيد.

- "سلمى": امممم، ممكن لو نزلت هقولك راحت فين بالظبط وتشوفها من غير ما تعرف بالله عليك لحد ما أمهدلها الموضوع.
- "معاذ": حاضر والله.

أنهينا المكالمة وأغلقت الخط، لأجلس ساعات عدة لإيجاد طريقة لأخبر بها "نور"، الموضوع ده خانقني، لازم أعرّفها مش هينفع كده ده ممكن لو عرفت تقاطعني فيها بسببه.

لازم أكلمها أقولها دلوقت، مش هقدر أداري أكتر من كده.

- "سلمى": عاملة إيه يا روحي؟ وحشتيني.
- وانتِ كمان يا قلبي، إيه أخبارك انتِ؟
- "سلمى": الحمد لله تمام.
- يستاهل الحمد يا كوكو.
- "سلمى": قوليلي انتِ هتقضي النهارده ازاي؟

(عودة)

ملامح الصدمة أصبحت جزءًا من وجهي، لم أكُن أصدق ما أسمع، لا أستطيع وصف غليان قلبي وقتها، وتشتت أفكاري من فرح وحزن وحيرة وندم واشمئزاز.. معقولة ربنا خد حقي منه بالشكل ده؟ معقولة أنا كنت ظالمة اختفائه عني بإنه عايش حياته وهو في الأصل ميت؟ طب أنا أسامحه ازاي بعد اللي عمله معايا؟ ده خد أغلى حاجة مني، معقول يكون لسه بيحبني فعلًا؟! بس ازاي! هو في حد بيحب حد يسيبه؟ طب ليه بِعد وعشان إيه قرب؟ طب ليه دلوقتي؟ كمية أسأله جوايا مش لاقيالها إجابة.. أنا تعبت، تعبـت.

ولم تبكِ عيني قطّ، فقد بكى ما أهو أعظم بكثير، بكى قلبي...

(رسائل لن ترسل)

كالعادة، أتى بوقت غير مناسب، كانت عادته أن يحضر بوقت لم أعد أحتاجه به، أتى عندما اعتدت غيابه، هجرانه، قساوته، وانشغالاته، أتى عندما فقدت رغبة وجوده جواري، تمسك عندما تركت، وسيترك لو تمسكت.. لم ولن يتغير مهما ألقيت اللوم على قلبه، لسنوات متتالية كان مُتيقن أنني لن أمل هذا، ولأنه كان يعلم أن ما بداخلي له ليس قليل، لكن ألف لا!

لم أعد أتحمل بعد الآن هذه الأعباء وحدي، فقد مللت التحمل، ومللت اللوم والهجران والتصرفات غير المبررة في أوقات أنا في أمسّ الحاجة إليه بها، مللت.

(اعتدت غيابك يا هذا ، ارحل)

دفع "يس" الباب وقال بصوت عالٍ:

– إيه اللي أنا سمعته ده يا مدام "نور"!!

لم نصدق ما يحدث أنا و "سلمى".

ثم وجهه كلامه إلى "سلمى" وأنا في صدمة جعلتني لا أنطق بكلمة:

– اخرجي براااا.

– "سلمى": افهم بس يا "يس" اسمع.

حاولت النطق؛ لأعدل أي من هذا الخراب الذي حدث، لكن تلعثمت الكلمات على أطراف لساني، وعمّ الصمت بي.

– "يس": أسمع إيه أسمع إيـه.

ثم توجه إلى "نور" ليقبض على شعرها بيده بقوة.

– انتِ لو منطقتيش دلوقتي هموتك وأخلص منك، فاهمة؟؟ انطقي مين ده وحصل إمتى يا "نور"؟

لم أعلم ماذا أقول! أقسم إني شعرت أني فقدت النطق وقتها.. حتى انهال عليّ بالضرب، و "سلمى" تأخذ بعض الضربات، وأنا كل الألم لي وحدي، فأصبحت أبكي فقط، ولا أعلم ماذا سأقول! أبكي وأتألم فقط، ثم صفعني صفعة ارتطمت بالحائط لأسقط على الأرض.

"سلمى" تصرخ:

– إيه اللي انت بتهببه ده؟!

– "يس": قلت اخرجي براااا وملكيش دعوة.

"سلمى" بصوت منهار عال:

- مش هخرج إلا لما أطمن عليها، مش من حقك تطردني، دي عشرة عمري ومن حقي مسيبكش تعمل فيها كده.. حتى يا أخي لو كانت غلطت اسمعها، افهمها، اديها فرصة.
- أدي لمين فرصة؟ دي إنسانة منحطة، وأنا الظاهر سيبتها على راحتها، وهي لازم تتربى من أول وجديد.
- لم أشعر بنفسي إلا وأنا أنهض وأجري نحو الباب بلا هدف أو مبرر أو اتجاه، لا أعلم إلى أين سأذهب ولمن، حتى أني لم أضع الحجاب على شعري، كنت مغيبة، لم أكن بوعيي الذي ترعرع بي منذ شبابي، لا بد وأنني فقدته وفقدت عقلي حينها، فلم يحدث سابقًا أن أصبح العاهرة أمام أخي الصغير، القدوة أصبحت أدنى شأنًا من الحدوة.
- "يس": انتِ رايحة فين؟

وأمسك بي قبل وضع قدمي على أول سلمة. صرت أدفعه ويسحبني، حتى أفلت يدي فسقطت على الدرج جميعها، حتى ارتطمت بحائط لتبحر دمائي العاهرة بأنحاء المكان.

"سلمى" بصراخ:

- "نووووور"!

و "يس" من الصدمة تبلّد مكانه، وكأنه شعر بالندم لما فعله بأخته الكبرى التي ما أشعرها يومًا بأنه الأصغر، كان دائمًا الأب والأخ الكبير، ذهب مسرعًا ليهاتف "حسام" وأخبره ما حدث، وبعد غضون ربع ساعة حضر "حسام" بلهفة مسافر رأى طفله الذي غاب عن عينيه منذ

الولادة.. كانت لهفته تحكي عن قلقه وحبه الذي تغلغل مستعمرًا قلبه بالكامل.. حضر ومعه الإسعاف.

– "حسام": إيه اللي حصل؟ في إيه اتكلموا.

وينقلها رجال الإسعاف إلى العربة.

لم ينطق "يس" بكلمة، كان يسند رأسه المتعبة من التفكير على يديه وينظر إلى الأرض بحزن..

"سلمى ببكاء:

– كانت عايزة تمشي وتسيب البيت "يس" حاول يوقفها راحت وقعت من على السلم.

اقتربت إليه بضع خطوات، وهمست:

– أخوها عرف كل حاجة.

"حسام" بصدمة:

– يادي النيلة! طيب اهدي بس واركبي وهنتطمن عليها كلنا دلوقتي.

"يس" بلغة حادة، وكأنه تحول في أقل من دقائق من شخص حزين إلى لا مبال لما فعل:

– أنا مكانش قصدي، بس هي تستاهل اللي حصلها ده.

"حسام" بعصبية:

– انت بتستهبل يا "يس"! ليه كده؟ اتفضل اركب وافهم الأول وبعدين اتكلم.

"يس" باندهاش:

- أفهم إيه؟ انت كنت عارف باللي حصل ولا إيه!!
- "حسام": لو سمحت اركب مش وقته الكلام ده.

"يس" لم يقم بالرد، عاد إلى صمته مرة أخرى.. فقط ركب ولاحقوا سيارة الإسعاف.

شاع الصمت في الطريق، لم ينطق أي منهم بكلمة.. صراعات بعقل كل من "حسام" و "يس".

"حسام" لا يعلم كيف سيخبر صديقه الصغير بأن جميع المقربين لها يعلمون إلا أخيها، أي أنه ليس الأفضل بالنسبة لـ "نور".. وفضلتني عن أخيها.

أما عن "يس" فلا يعلم كيف سيرفع عينه برجل، مهما حدث فهو غريب عنها، يعلم عنها شيئًا كهذا وأنا لا أعلم! وكيف تحولت نظرته تجاهها من السماء إلى أعماق الأرض!

أما عن "سلمى" فهي تجلس بجانبي؛ لأنها تعلم أني أخاف المكوث وحدي بأي مكان.. جلست وكأنني أشعر بها وأشعر ببرودة يدها المستندة على يدي، واضعة رأسها عليها مع عويل منها، كأنني أخرج نفحاتي الأخيرة التي يساعدني على أخذها جهاز التنفس، كنت أتمنى نزعه حتى أفقد التنفس تمامًا وأرحل عن هنا، فهذا العالم سيء جدًا، وأنا تعبت بما يكفي، ولا أعلم ما هي رسالتي حتى ينجدني الله لأعيش مرة أخرى.

وبعد دقائق وصلنا، كانت العربة وكأنها لا تسير، بل تطير؛ لخلو الطريق من العربات، وكأن كل الطرق ممهدة لأصل قبل أن ينفذ دمي، وأنا أتمنى نفاذه.

هبط رجال الإسعاف مسرعين منها؛ ليحملوني إلى غرفة العمليات مباشرة.

مرت عدة ساعات على دخولي غرفة العمليات، حتى خرج الدكتور لينتفض الجالسين "يس" و "حسام" و "سلمى" التي تسند جسدها المرهق على الحائط.

"يس" و "حسام" بصوت واحد:

- خير يا دكتور؟ طمنا.

- الدكتور: جالها ارتجاج في المخ ودخلها كوما (غيبوبة)، ولو الساعتين اللي جايين دول عدو على خير هننقلها غرفه عادية ادعولها. وذهب.

وقع الكلام عليهم كنيزك فرغ أوساط قلوبهم، لتبدأ مأساة كلا منهم، "سلمى" تنهار بكاءً، ويدفع "يس" يده بقوة على الحائط، أما عن "حسام" فهو يواسي كليهما.. كان قويًا كعادته، رجل تستطيع أن تستند عليه بكامل ثقلك، ليحملك أنت وثقلك بصمود بالغ.

ليستفيق "يس" من صمته الذي دام لنصف ساعة تقريبًا..

- طب وبعدين، هي ممكن تفوق إمتى يا "حسام"؟

- "حسام": الله أعلم يا "يس" على حسب كل حالة، ادعيلها.

"سلمى بلهفة:

- يعني ممكن متصحاش شهور؟ انت بتقول إيه!
- "حسام": اهدي بس يا "سلمى" الله يخليكِ، وادعيلها أحسن، ربنا قادر على كل شيء، بس الخبطة كانت جامدة عليها.

"يس" ليقطع صمتهم الحزين..

- بس انت عرفت منين موضوع "نور"؟ وليه مقالتليش!
- "حسام": خافت صورتها تتهز في عينك، وعارف إنه مش وقته، بس أنا عايز أتجوز أختك.

"يس" يكاد من الصدمة ينخلع عقله.. انتفض من مكانه حتى أمسك "حسام" من ملابسه بلا وعي وأعطاه ضربة بكل قوة، وهو يقول:

- بقى انت يا جبان اللي عملت كده؟
- "حسام": إيه الغباء ده؟ مش أنا طبعًا.

"يس" أخذ يلتقط أنفاسه، وبدأ يهدأ وشعر بالخجل من كل الجهات، من جهة أنه يعلم ما لا يعلمه عن أخته، وأنه تطاول عليه دون ذنب له في شيء..

- "سلمى": لو سمحتوا بطلوا خناق بقى، مش ده المكان المناسب للنقاش، أهم حاجة نتطمن عليها دلوقت.
- "يس": أنا آسف يا "حسام" مكنتش أقصد، فهمت غلط.
- "حسام": لا عادي ولا يهمك، بس انت مردتش عليا، أنا عايز أتجوز "نور".
- "يس": وده حب ولا شفقة؟ لو التانية لا مش موافق يا "حسام" أنا آسف.

بداخل غرفتي التي لا تفرق كثيرًا عما كنت بها.. حائط وجدران وأفكار وأسئلة داخل عقلي لا تهدأ، ولكن الفرق أني في دنيا هم لا يعرفون عنها شيئًا، لم يعطوا لي حق الدفاع عني، أنا لا أملك بنفسي شيئًا، هما يفعلوا كل شيء، يأتوا فيتقربوا فيتكلموا فيهتموا فيحبوا فيوعدوا فيخونوا فيجرحوا فيذهبوا، وأنا أشاهد ما يحدث، لا أعرف ما هذا!

(رسائل لن ترسل)

مرّ عام من أسوأ سنين عمري من بدايته إلى النهاية، فلم يكن الأفضل على الإطلاق سوى بوجود أشخاص استثنائين بحياتي قلة، وأقل من القليل، لكنهم فارقون، شاكرة لكل ما بذلوه من جهد؛ ليحاولوا منحي السعادة التي تتسرب من بين أيام حياتي.

أهدرت هذه السنة من مشاعري، وآلامي، وعقلي، حتى نفذ وقود جسدي.. بات كل شيء باهت، فقد لونه اللامع بعيني، لم يعد شيئًا يبهرني كالسابق، وإن انبهرت أخاف موعد انطفاءه يحين، أو أن ما ألمحه ساحر بعيني يأخذ نفسه بكل ما أبهرني ويذهب، إما بالتغير أو اختيار طريق يخالفني، تحطمت بشكل قاسٍ، لم يرحم أحد قلبي، ولكن أتعلمون! أنا ما زلت أنبهر.. أنبهر بأن كل أذى يحل بي يفوق ما ذهب وولى، أندهش في كل مرة ولا أعتاد، لم أستطع اعتياد الألم أبدًا.. نعم الحمد لله، ولكني يا ألله هلكت، أتسمعني؟ أقسم إنني لست بخير، وأن كل شيء مرّ، ولكن على قلبي.. أنا في أمسّ الحاجة لمعجزة الآن، رغم أني على علم بأن زمن المعجزات قد ولى، ولكني أيضًا على دراية بأنك القادر على قول كن ليكون كل شيء بخير، أو لأرحل من هنا بسلام.

(إلى السماء)

حتى قطع الهدوء "سلمى"..

- أنا للأسف مضطرة أمشي؛ عشان الساعة بقت عشرة وأنا اتأخرت جدًا، هبقى اتصل بيك يا "يس" أتطمن عليها منك.
- "يس": تمشي فين؟ مش لما أفهم الموضوع ده إيه!
- "سلمى": أنا متأخرة جدًا يا "يس" للأسف، هاجي بكرة أتطمن عليها وأفهمك كل حاجة.
- "حسام": سيبها تروح يا "يس" وأنا هفهمك كل اللي عايز تفهمه.

"يس" بنظرة مليئة بالغضب..

- تمام خدي بالك من نفسك يا "سلمى" عشان الوقت اتأخر، ومتزعليش مني لو كلمتك بأسلوب مش حلو.

"سلمى" بابتسامة لطيفة:

- ولا يهمك يا "يس" انت أخويا وأنا مقدّرة موقفك، همشي بقى، بعد إذنكم، يلا سلام.

ثم ذهبت وساد الصمت لدقائق، ثم اعتدل "يس" بجلسته تجاه "حسام".

"يس" بجدية:

- ها اتفضل فهمني، ومن إمتى أصلًا ومين الحيوان ده وحضرتها تعرفه منين؟

"حسام" جلس ليقص عليه ما حدث تفصيلًا..

- "يس": يعني أنا واخد على قفايا كل ده، وأنا وأختي في بيت واحد ومعرفش عنها حاجة؟!
- "حسام": أكيد خافت تقولك يا "يس" طبعًا، هتعرفك ازاي حاجة زي دي!
- "يس": وانت تعرفله طريق الحيوان ده؟
- "حسام": لا كنت اتصرفت أنا مكانك.. اختفى بعد اللي حصل ده على طول.
- "يس": ازاي يعني اختفى؟ من ضمن الكلام اللي سمعته إنه كلّم "سلمى" هانم صحبتها وشافها يوم ما خرجنا أنا وانت وهي.
- "حسام": أنا معرفش حاجة عن الموضوع ده!

وكأنه تذكر شيئًا..

- استنى كده! ليكون هو ورا الويتر اللي كانت تصرفاته غريبه ده؟
- "يس": أنا كنت شاكك إن "نور" فيها حاجه يومها بس مركزتش، عشان كده وشها اتخطف.
- "حسام": يعني هو الويتر ده نفس الواد بقى!
- "يس": أكيد؛ لأنه كان مش عايز يدي حد الشيك لغيرها، كأن حد موجهه ليها هي مخصوص، أو هو ده الحيوان أصلًا.
- "حسام": متهيألي إن لمحت في إيد "نور" ورقة بس مركزتش أوي يعني، ممكن تكون منه، لا ده أكيد.

" يس" انتفض من مكانه بعد كلمات "حسام"، وقال:

- أنا لازم أروحله دلوقت، أنا هموته.
- "حسام": يا ابني استهدى بالله واستنى، هاجي معاك بس نتطمن عليها ونروح بعربيتي، أكيد الواد ده هيوصلنا لحاجة.

"يس" بصوت يغلبه الحزن:

- مش عارف أشفق عليها ولا أكرهها والله!
- "حسام": هي اتعاقبت بما فيه الكفاية يا "يس" وبعدين مكانتش تعرف إن الحيوان ده هيغدر بيها.

"يس" بعينين كبركة دم:

- أنا لو شفته هشرب من دمه.
- "حسام": كل حاجه تتحل بالعقل يا "يس"، مش عايز تهور.
- "يس": تمام، يلا بينا طيب نتطمن عليها ونروح دلوقت؛ عشان مش هقدر أستنى لبكرة معلش.
- "حسام": طيب تمام يلا.

(رسائل لن ترسل)

لأول مرة لا أعلم ماذا أكتب ولمن! كل الأمور لم تعد تسري كما كنت أتوقع أن تسير، كل محاولاتي باءت بالفشل، حتى أن محاولة نهوضي من على هذا السرير فشلت، ولا أريدها أن تنجح، ولن أحاول مجددًا، ولا أريد مواجهة هذا العالم من جديد، لم أستطع التأقلم مع هذا العالم، أصبح الوضع سيئًا، كل الأمور بدت صعبة، إما أن اليسر مُحي من قاموس اللغة، أو أنه لم يعد يستخدم بعد الآن لي! كل الأشياء تُهلكني وتأخذ من طاقتي أطنانًا، ولا أعلم ما الحل الآن غير أن أغمض عيني ولا أفتحهما مجددًا، فقد بكت بما يكفيهما وأكثر، والآن حان وقت السكون.

(إلى من يهمه الأمر، إن وجد)

- "يس": لو سمحت، في حد بيشتغل معاك هنا طويل ورفيع شوية وبدقن، اسمه إيه؟!
- الويتر: آه يا فندم ده غالبًا "شهاب" بس مشي دلوقت.
- "حسام": طيب هو ورديته من كام لكام، تعرف؟
- الويتر: لحد الساعة ٧ يا فندم بيبقى موجود.
- "يس": تمام شكرًا.
- الويتر: حاجة تاني يا فندم؟
- "يس": لا شكرًا.

"حسام" بعد لحظات تفكير:

- على فكرة يا "يس" مش هو لا، الولد ده مسموش "شهاب".
- "يس": امال اسمه إيه؟!
- "حسام": اسمه "معاذ".
- "يس": يعني كده اتأكدنا إنه مش هو، بس هيوصلنا ليه، كويس إنك قلتلي قبل ما نجيله بكرة.
- "حسام": اشمعنا يعني؟
- "يس": عشان كنت أول ما أشوف وشه متهيألي إني هضربه من غير ما استنى أسال هو ولا لأ.

"حسام" بضحكة مصطنعة:

- هي لو تشوف انت بتحبها قد إيه أكيد هتقوم.

"يس" بحزن:

- ربنا يقومها بالسلامة يا رب.

- وبعدين بقى يا "معاذ"! يا ابني انت عليك إيجار الشقة ومصاريفك، انت هتنزل الشغل تاني إمتى؟
- "معاذ": مليش نفس أعمل حاجة يا "شهاب".
- "شهاب": صاحب الشغل بيسأل عليك كل يوم، وقالي أقولك يا تنزل يا يشوف حد تاني.

لم يتلقَ أي رد من "معاذ"، أما عن وجهه فكان يقفز عليه الكلمات بلا صوت.

- يا "معاذ" أنا ما صدقت شوفتلك مكان فاضي في المطعم ده، مش ده المكان اللي فضلت تحاول تشتغل فيه عشان خاطر تشوفها؟ أمال قعدت ليه بقى؟!

"معاذ" قطع صمته الذي دام لدقائق:

- كنت عايز أعمل أي حاجة عشان أوصلها أو اشوفها حتى من بعيد، مكنتش عارف إني أول ما أشوفها هتسحبني بالشكل ده! أنا مكنتش أعرف إني بحبها كده يا "شهاب".

كنت يوم في النادي بتمشى لمحتها هي وصحبتها.. انت مش متخيل إيه حصلي! كأني كنت بجري بكل سرعتي وفجأة قابلت حيطة طلعتلي من تحت الأرض، فجأة ومن غير مقدمات اتصدمت فيها واترميت في الأرض...

"شهاب" بمرح:

- لا وانت الصادق اترميت عليا وقّعت كل اللي كان في إيدي، وكنت هولع فيك يومها هههههه.

(فلاش باك)

- إيه يا أستاذ مش تحاسب! وقعت كل اللي ف إيدي.
- "معاذ": أنا آسف والله حقك عليا.
- "شهاب": أعمل إيه أنا بأسفك ده! حضرتك ده كان طلب لزبون، وأنا ذنبي إيه أدفعه من جيبي!
- "معاذ": مخدتش بالي منك والله، طيب قولي الحساب كام بسرعة بس قبل ما تمشي.
- "شهاب": مين دي حضرتك؟
- "معاذ": وانت مالك يا عم، انجز الحساب كام!
- "شهاب": الحساب ٢٦٠.
- "معاذ": أفندم! ٢٦٠ إيه أنا مش معايا غير ١٠٠ أصلًا، أعمل إيه دلوقتي؟ هيمشوا.
- "شهاب": ١٠٠ إيه حضرتك، بقولك الحساب ٢٦٠، ومين دول اللي هيمشوا مش فاهم!
- "معاذ": طب ممكن أطلب منك طلب؟
- "شهاب": اتفضل.
- "معاذ": أنا بدور على شغل بقالي شهور، يا ريت تساعدني لو في شغل هنا أبقى شاكر ليك جدًا.

وعينه تراقب الطريق أمامه، أو بمعنى آخر يراقبها وهي تبتعد عن أنظاره، ولا مرة نظر نظرة ثابتة لمن يتحدث إليه، وكأنه بكامل جسده يقف مكانه، أما في الحقيقة فإن جميعه خلفها كالظل يسير.

- "شهاب": معتقدش هعرف أساعدك، أنا مجرد حد شغال هنا، كلم الإدارة أحسن.
- "معاذ": كلمته وقالولي مفيش، لازم شهادة، وأنا مش معايا شهادة جامعية؛ لأني سبت الدراسة من سنتين.
- "شهاب": والله مش عارف أقول لحضرتك إيه! طيب سيبلي رقمك وهحاول أشوفلك شغلانة، حتى لو مش هنا.

"معاذ" بفزع:

- لا لا أرجوك، هنا أي حاجة أي حاجة، أهم حاجة أبقى جمبها.

"شهاب" باستغراب:

- حاضر هات رقمك وهكلمك بكرة أرد عليك، وبالنسبة للحساب ربنا يعوض عليا خلاص.
- "معاذ": والله العظيم أول ما أشتغل هجبهملك، أنا آسف فعلًا مخدتش بالي وفلوسي مش هتكفي.

"شهاب" وهو يربت على كتفه:

- ولا يهمك يا عم، واحد.
- "معاذ": شكرًا جدًا، ورقمي أهو، هستنى ردّك.
- "شهاب": بإذن الله.

مرّ يومين إلى أن رنّ هاتف "معاذ" برقم مجهول.

- ألو.
- أيوة يا "معاذ"، أنا "شهاب".
- "معاذ": آه ازيك عامل إيه؟

- "شهاب": تمام الحمد لله، اتبسط يا عم لقيتلك شغل، بس مش ويتر، في المطبخ.
- "معاذ": مش عارف أشكرك ازاي يا "شهاب" والله! جميلك ده فوق راسي.
- "شهاب": يا عم جميل إيه بس! ربنا يعلم أنا ارتحتلك ازاي.
- "معاذ": ربنا يديم المحبة يا صاحبي.
- "شهاب": يا رب، عامةً تقدر تنزل الشغل من بكرة الساعة ١٠، تمام؟
- "معاذ": خلاص تمام.

وأغلقنا الخط..

مرّت أيام حتى حفظ مواعيد حضورهم إلى النادي، كان يعمل "معاذ" بمطعم داخل النادي، وفي كل مرة كان يلمحها من بعيد، ولا مرة تجرأ أن يواجهها وجهًا لوجه، في كل مرة كان يكتفي بتأمل وجهها من بعيد، وكأنه يشبع عينيه بها..

إلى أن اشتعلت النيران بقلبه عندما رآها بصحبة ولدين لا يعلم من هم.. هل هو خطيبها أم أخاها أم صديقها أم حبيبها الجديد؟!

- "معاذ": بقولك إيه يا "شهاب"، تعالى بسرعة.
- "شهاب": في إيه؟
- "معاذ": عايز منك خدمة.
- "شهاب": طيب بس اديني دقيقة هروح أودي الشيك ده للطربيزة دي وأجيلك.

- "معاذ": لا لا استنى، عايز أوديه أنا.
- "شهاب": تودي إيه يخربيتك! مشرف الشغل لو شافك هيظبطني أنا.
- "معاذ": طيب خلاص هكتب ورقة أحطها جوا الشيك وتديه للبنت بأي شكل.
- "شهاب": افرض ولد من اللي معاها خده، أعمل إيه!
- "معاذ": حاول على قد ما تقدر تديه ليها هي وتمشي.
- "شهاب": حاضر يا سيدي، لما أشوف آخرتك إيه!
- "معاذ": يلا روح وأنا متابعك من بعيد.
- "شهاب": تمام.

بعد دقائق عاد "شهاب" يتأفف:

- الله يخربيتك يا "معاذ"، كنت هتوديني في داهية.
- "معاذ": رايح تقولهم أوامر! أوامر إيه الله يخربيتك هههههههه.
- "شهاب": يا عم انت بتهزر! الحمد لله إنها عدّت، بس أنا عايز أفهم بقى مين البنت دي؛ لأنها نفس البنت اللي لبست فيا الصينية بسببها أول يوم شوفتك فيه، ونفس البنت اللي بتسألني عليها كل يوم جت ولا لا، فهمني بقى مين دي؟

"معاذ" بنظرة مليئة بالحب:

- دي كانت وما زالت أحلى حاجة في حياتي.
- "شهاب": يا عيني يا عيني، لا ده انت عايزلك قعدة.

- "معاذ": يا عم لينا قعدة سوا أكيد، هلحق أنا بقى أرجع المطبخ قبل ما يلاحظوا غيابي.

"شهاب" بمرح:

- هنترفد أنا وانت في يوم واحد، شكلنا كده.
- "معاذ": هههههه، يا عم خليها على الله.

(عودة).

- "شهاب": كان يوم أسود يا عم يوم ما شوفتك هههههه.
- "معاذ": هههههه، طب يا سيدي شكرًا كفاية.
- "شهاب": هههههههههه، هترجع إمتى برضو؛ عشان أعرف صاحب الشغل.
- "معاذ": يومين بالظبط وهرجع.
- "شهاب": تمام هبلغه بكده، متطلعش منظري زبالة، ده أنا اللي جايبك ليه.
- "معاذ": عيب عليك يا صاحبي متخافش.
- "شهاب": تمام، أنا همشي دلوقت عشان ورايا شغل الصبح.
- "معاذ": تمام، توصل بالسلامة.

عند نور..

شمسًا تغرب وأيامًا تفوت، وما زال الهدوء يعم الأماكن من حولي، عدا مكانًا واحدًا فقط، قلبي، هذا هو المكان الوحيد الذي يفتقد الهدوء والسكينة، منذ فترة كبيرة جدًا لم يأمن لطشات الحياة واحدة تلو الأخرى بلا سكينة تمس قلبي، ولو لدقيقة.

صوت "سلمى":

- يا دكتور هي عاملة إيه دلوقتي؟
- الدكتور: حالتها مستقرة، ولكن مفيش جديد زي ما انتِ شايفة.
- "سلمى": طيب هي هتفضل كده كتير يا دكتور، مفيش أي تحسن؟
- الدكتور: ده مقدرش أفيدك فيه، هي بين إيدين ربنا، حتى احنا منعرفش بتفكر في إيه، كل المعروف إنها يمكن سمعانا وحاسة بينا، حاولي تتكلمي معاها انتِ وأي حد هي بتحبه، حسسيها إن في حد مستنيها تقوم، وإن هي مهمة عند حد؛ عشان تقدر تقاوم اللي هي بتمر بيه ده، وربنا يقومهالكوا بالسلامة، بعد إذنك. وخرج.

(رسائل لن ترسل)

لم أعد أريد العودة من جديد، ولم تعد لدي الطاقة لتجاوز المزيد من الأحداث، أنا أُجزم أن ما مررت به لو وقع على جبل لخر وقوعًا؛ لهول الأعباء التي مر بها قلبي، فلم أعد أحتاج أحد، ولا حتى أرغب احتياج أحد لي، سأكتفي بنفسي ولنفسي بعد الآن، فلا أحد يستحق أن أخلق له طاقة ولا أن أعطيه فرصة أخرى، فقد نفذ كل ما بي، وأصبحت هشة فارغة من الداخل، يكفي إلى هذا الحد، فإن طاقتي كافية فقط لاستنشاق الهواء ليس إلا.

(لا يوجد)

- "يس": بقولك لو سمحت، في هنا حد بيشتغل اسمه "شهاب"، هو موجود؟
- الويتر: أيوة يا فندم موجود.
- "يس": تمام، ابعتهولنا لو سمحت.
- الويتر: حاضر يا فندم دقيقة.

ذهب إلى "شهاب" ليخبره ما حدث..

- بقولك إيه يا "شهاب"، في اتنين سألوا عليك قبل كده، وجم تاني وعايزينك دلوقت.
- "شهاب": اتنين مين يا "أحمد"؟!

"أحمد" وأشار إليهم بسبابته قائلًا:

- دول.

"شهاب" بفزع يقول هذا ذهابًا وإيابًا:

- ينهار اسوح هو انتو! أنا كده اترفدت خلاص يعني، الله يخربيتك يا "معاذ".
- "أحمد": انت عملت مصيبة ولا إيه يخربيتك؟
- "شهاب": يا عم أنا معملتش حاجة، بص ربنا يستر.
- "أحمد": طيب روحلهم عشان واقفين من بدري، انجز.
- "شهاب": حاضر.

وترجّل تجاههم "شهاب" بخطوات متثاقلة، كلما اقتربت المسافة تثاقلت قدميه أكثر، لم يُحدث أي مشاكل منذ قدومه بهذا المكان منذ

سنتين، ولأنه يعول أخته وأمه بتكاليف البيت، ولا يملك سواهم في حياته.

– "شهاب": حضرتك طلبتني!

"يس" بنظرة حادة وصوت يملئه الصلابة:

– فين "معاذ"؟

"شهاب" صُدم لردة فعله، لم يكن يتوقع ردًا كهذا أبدًا.. بدأ التوتر يلتهم لسانه..

– هو.. بس في إجازة الفترة دي حضرتك وهينزل بعد يومين.

– "يس": حلو أوي، مواعيد شغله من كام لكام؟

– "شهاب": مش عارف والله؛ لأن معرفش هو هينزل أنهي شيفت!

– "حسام": اديله رقمك يا "يس" يكلمك عليه لما ينزل وخلاص أحسن.

– "يس": خد رقمي أهو، أول ما ينزل كلمني، في خلال يومين لو متصلتش بيا وقولتلي إنه نزل انت متعرفش أنا ممكن أعمل إيه، ماشي؟

"شهاب" بنبرة مهزوزة:

– حاضر والله، أول ما ينزل هكلّم حضرتك.

"يس" بتهديد:

– ولو طلع ده كله حوار وبتستهبل هجبكوا انتو الاتنين على نقالة.

– "شهاب": هستهبل ليه طيب حضرتك! طيب لما أشوفه أقول مين سأل عليه؟

ليستدير كلا من "حسام" و "يس" ولم يلقوا بالًا لسؤال "شهاب".. تركوا عشرات الأسئلة تقفز برأسه دون إجابة، وهم يقصدون كل ما يفعلون.

"شهاب" بنبرة سخرية:

– إيه يا ربي جو الماڤيا اللي أنا قاعده فيه! يخربيتك يا "معاذ".

"حسام" في العربية..

– أنا عمال بساعدك ومش عارف انت ناوي تعمل إيه يا "يس"!

– "يس": هجيب حق أختي وأرد كرامتها.

– "حسام": "يس"، أنا محدش هياخد أختك غيري.

– "يس": ومين قال إن حد هياخدها غيرك؟

– "حسام": أمال هتعمل إيه يعني؟

– "يس": هتشوف.

ملامح الاستغراب لم تفارق وجهه "حسام" منذ بداية كلامه مع "يس"، لكنه لم يرد أن يتساءل كثيرًا، ففضل الانتظار ومراقبة ما يحدث بصمت، والأيام كفيله لإظهار ما هو مُبهم .

"شهاب" يدق الباب دقات متتالية بلا توقف على أحد أبواب السيدة في منطقة متوسطة الحال.

بصوت عالٍ يقولها وهو يستمر في الدق:

– يا ابني افتح، اخلص انت نايم ولا مقتول!

"معاذ" يفتح الباب وهو يحاول فتح عينيه بتثاقل، وبصوت يغلبه النعاس:

- إيه يا ابني الدوشة اللي انت عاملها دي!
- "شهاب": أنا بقالي ساعة بخبط، إيه كل ده نوم يا عم؟
- "معاذ": سهران طول الليل امبارح مكنتش عارف أنام، وبعدين سيبني أشبع من السرير شويه قبل ما أنزل الشغل يا عم في إيه.
- "شهاب": أنا محتاج فعلًا إنك تنزل الشغل؛ عشان مش هتنفخ لوحدي أنا.

"معاذ" بمرح:

- مسيري أتنفخ زيك في الشغل يا عم، مستعجل على إيه!

"شهاب" بنبره مائله للجد:

- غالبًا النفخ المرادي مختلف شوية.

"معاذ" بدأت ملامحه تتغير لما شعره من كلام "شهاب"..

- هو إيه الألغاز دي يا "شهاب" في إيه؟ ما تتكلم على طول!
- "شهاب": فاكر الاتنين اللي كانوا قاعدين مع البنت اللي قدمتلها الشيك برسالة؟
- "معاذ": أيوة مالهم؟
- "شهاب": جُم وسألو عليا لما كنت مش موجود، وجُم تاني سألوني عليك، والظاهر إنهم ناوين على شر، شغالين تهديدات لو متصلتش بيهم، وواحد فيهم اداني رقمه عشان أكلمه أول ما تنزل الشغل.

"معاذ" صمت قليلًا، لتنقلب رأسه رأسًا على عقب، فلا يعلم من هؤلاء! ظلّ يثرثر داخل نفسه، أما عن خارجه فهو صامت تمامًا، ليقول:

- ولكني على علم تام بأنهم علموا بما فعلته بها، لا بد وأنها قصّت عليهم ما حدث، حتى لو مرت سنتين على ما حدث، لكني أعلم أن الله يمهل ولا يهمل.
- "شهاب": سكت ليه يا "معاذ"؟ انت عملتلهم حاجة؟ الموضوع ليه علاقة بالورقة اللي حطيتها؟ لأني مفتحتهاش ومعرفش فيها إيه!

"معاذ" قطع صمته وقال بهدوء:

- لا ده دين عليا من سنتين، وما زلت بكفّر عنه.
- "شهاب" وهو يربت على كتفه:
- ذنب إيه يا ابني؟ قول لو في حاجة ممكن أساعدك بيها؟
- "معاذ": لا لا مفيش حاجة، بس هات الرقم اللي ادهولك، ومقالكش أي بيانات عنه؟
- "شهاب": حاضر أهو، لا خالص.
- "معاذ": تمام، ربنا يسهل الحال.
- "شهاب": يا رب، وانت هتنزل الشغل بكرة كده صح؟
- "معاذ": آه بإذن الله.
- "شهاب": تمام، هتكل على الله أنا، عايز مني حاجة؟
- "معاذ": شايلك في وقت عوزة يا صاحبي تسلم، وآسف على أي حاجة حصلتلك من تحت راسي.

- "شهاب": يا عم متتأسفش، على إيه احنا اخوات، ربنا يسترها معاك يا رب.
- "معاذ": ربنا يحفظك يا رب، اللهم آمين يا صاحبي، خد بالك من نفسك.
- "شهاب": على الله، سلام.
- "معاذ": سلام.

وأغلق الباب بهدوء.. جلس يفكر فيما يمكن ان يحدث من هؤلاء المجهولين، ومن هم، ويقول:

- إلى متى سيظل الله يعاقبني على هذا الذنب؟!

عند "نور" في المستشفى

يحاوطني كل من تمنى قلبي رؤيتهم منذ شهور معًا، وفي آن واحد، "سلمى" وبعض صديقاتي و "يس" و "حسام" كل منهم يحكي موقف بيننا لا يُنسى، سمعت ألطف المواقف التي جعلتني ولأول مرة أشعر بالرغبة في أن أحيا من جديد.

ومن بينهم موقف "يس"..

"فاكر يوم كنت في أولى اعدادي وعندي مراجعه مهمة قبل الامتحان، خدت الفلوس ونزلت أروح الدرس والفلوس وقعت مني، ومكانتش دي أول مرة يقع مني فلوس، ساعتها بابا قالي هروح أدفعهالك أنا عشان انت بتوقع الفلوس منك، وأنا فضلت أقاوح وأقوله لا أنا كبير هاتها أنا هدفعها، روحت الدرس والمستر مشاني من الحصة ومرضيش يدهالي؛ عشان الفلوس مش معايا، اتصلت بيكِ وفضلت أعيط، روحتى قولتيلي

متقولهمش حاجة وأنا هجبلك الفلوس وجاية، وأول ما شوفتيني بعيط حضنتيني حضن عمري ما هنساه أبدًا يا "نور"، وادتيني الفلوس وقولتيلي متقولهمش حاجة دول من مصروفي، انتِ حقيقي وحشتيني جدًا يا "نور".

و"حسام" قال:

"كنت أول مرة نزلت من السفر شفتك فيها، كنتِ لابسة دريس أحمر وطرحة أوف وايت، عمري ما نسيت شكلك وابتسامتك يومها، حتى لو كانت بتداري حزن كبير بس كنتِ مختلفة جدًا يومها، كنتِ زي الشمس اللي طلعت في يوم كان مليان غيوم ومطر، كنتِ زي النور اللي نورلي عتمة يومي يا "نور".

وإحدى صديقاتي "هنا":

"آخر أسبوع في الجامعة كنت جاية وأنا مش طايقة نفسي؛ بسبب إني أنا وهادي سيبنا بعض حب سنتين، جيت فاقدة الرغبة في كل حاجة، بس كان لازم آجي عشان كان عندنا امتحان عملي، أول ما شوفتيني كده حضنتيني من غير ما تسألي مالي، فضلت أعيط كتير لحد ما هديت، وبعدين روحتي وخداني بالعافية بعد الامتحان وودتيني سينما أتفرج على الفيلم اللي كنت نفسي أشوفه قبليها، فضلت فاكرة وعرفت ازاي تخرجني من اليوم ده وأنا مبسوطة جدًا وشالت عني كتيـر أوي، آخر اليوم حضنتها حضن كنت محتاجاه جدًا، وكان ختام اليوم مسك بضحكتها الحلوة وروحها".

وجلس كل منهم يحكي ويحكي لساعات، سمعت كل ما تحب أذني أن تسمعها، بلا شك هذا أفضل ما سمعت بحياتي، شعور النصف موتة، وكيف يتكلم الآخرون عنك أمر لم أتوقع تجربته من قبل، وها هو أفضل ما حدث لي.

(رسائل لن ترسل)

حان الآن موعد الازدهار من جديد، مررت بأيام قحط تلفت قلبي، والآن حالة من "سأحيا من جديد" تجتاحني وبشدة، أشعر وكأن قلبي يزهر، وكأن أمطارًا تسقط على ارض أوشكت على الجفاف، أو أنها جفت ولا أشعر، فهناك أيام لم أحياها وأشخاص لم أصادفهم، ومشاعر لم تُقذف في قلبي بعد، هناك أشياء لم أفعلها أستطيع فعلها، وسأحاول من جديد، شعرت لوهلة أن هناك ما يستحق أن أعيش لأجله، سأحاول مجددًا، وسأحيا من جديد.

(نور القديمة)

مضى يومان وبدأت أحرك أطرافي، وفتحت عيني، ولأول مرة أجد الأنوار من شدة سطوعها تجعل عيني تفتح بصعوبة، لأول مرة أرى الألوان مبهجة والابتسامات أجمل وأنقى، لأول مرة منذ سنين أرى جمال العالم، على الأقل داخل هذه الغرفة، وأود لو أُشفى سريعًا؛ لأرى بقية العالم كيف سار! متحمسة جدًا على أي حال..

فتحت على أجمل ثلاث شخصيات بحياتي، احتضنني "يس" كما لو كنت غائبة لسنين، أنا لا أعلم كم عدد الأيام التي مرت، ولا أريد أن أحصي عدد الأيام التي ضاعت من عمري بلا فائدة، فلقد علمت الآن حكمة الله من هذا، وأحمد الله كثيرًا بلا نهاية.

أسرعت "سلمى" بسعادة لتخبر الدكتور ما حدث، وتركتني بين أحضان أخي، أما عن "حسام" فلم تختفي للحظة من وجهه الابتسامة، مثلي تمامًا، كنت فوق سماء السعادة أُحلّق..

دخل الدكتور تفحصني قليلًا، ثم قال بابتسامة:

- عاال عال، كله تمام ضغط ونبضات قلب، ألف حمد الله على سلامتك يا آنسة "نور"، تقدري تخرجي من النهارده لو حبيتي، بعد إذنكوا.

وخرج وهو لا يعلم بأنه ألقى على جراح أحدهم ماء حارقة، ليتحول وجه "يس" و "حسام" وأنا إلى أسوأ حال، فلحظات سعادتي لا تدوم لأطول من دقائق دائمًا.

قطع كل هذا قول "يس" بابتسامة تخفي ضيقًا:

- أنا هخرج أدفع الحساب وهطلعلك إذن خروج، حمد الله على سلامتك يا حبيبتي.
- ماشي يا حبيبي.

"سلمى" بسعادة تقفز من بين ثنايا حروفها:

- يلا بقى خفي بسرعة عشان نخرج ونتفسح؛ لأني زهقانة أوي ومخرجتش من غيرك كل ده.
- حا...

قطع كلامي رد "حسام" قائلًا بابتسامة عذبة:

- خروج إيه يا بنتي! جهزي فستانك اللي هتحضري بيه فرحها، واعملي حسابك هتتمرمطي في مشاوير مستلزمات الفرح. "ثم قال بتساءل وتعلو شفتيه الابتسامة: أحلى من مية خروجة ده متهيألي!

"سلمى" بحماس:

- إيه ده انتو بتتكلمو جد؟ إيه ده مين معرفش! الله، طبعًا أحلى من مية خروجة.
- "حسام": هتعرفي قريب.

وهو يغمز لي، ثم غير الموضوع، وقال:

- هخرج أشوف "يس" خلص ولا لا. وخرج.

وأنا لم أعطِ أي رد فعل جيد أو سيء سوى أن ابتسامات بلهاء تعلو شفتي، لا أستطيع السيطرة عليها، مؤكد بأنه هو شريك عمري، يا ألله أنا في غاية السعادة! كانت "سلمى" تثرثر بجواري بكل كلمات السعادة،

ولكني لم أكن أسمعها، فقط أراها، وأنا قلبي وعقلي وكل حواسي خرجت معه.

مر يومان، كنت بالخارج مع صديقاتي، وعُدت إلى المنزل في غاية السعادة، بدّلت ملابسي؛ لأحضر العشاء لي ولأخي.

جهزت كل شيء، وذهبت إلى غرفة "يس"؛ لأخبره أن الطعام جاهز..

- يلا يا...

ثم صمت تمامًا؛ لأني سمعت اسم "معاذ" يردده "يس" مع من يحادثه، حتى تأكدت بعد لحظات أن أذني لم تخطئ، حقًا "معاذ"!!

تسمرت مكاني تحديدًا بعد سماعي جملة "محتاج أشوفك النهارده عشان نحدد معاد كتب الكتاب".

لم أنتظر لأكمل الحديث، تكفي هذه الجملة لأغادر فورًا إلى غرفتي، هل العريس الذي كان يتحدث عنه "حسام" حقًا هو "معاذ"، وأنا من فهِمت خطأ!!

بدأت تهبط مني كسيول في فصل الصيف لا أعلم مصدرها، وصرت أردد..

- "معاذ" لا مستحيل اكون فهمت غلط، نظرات "حسام" وابتساماته كانت عكس كده ازاي! مستحيل أكون مع "معاذ" تاني، لأ مش هعرف أكون مع حد غير "حسام" أنا بحبه، يا رب ساعدني، أنا ما صدقت أرجع كويسة تاني.

عند "حسام"..

- بقولك إيه يا "منى"، لو في كشوفات تاني أجليها لبكرة؛ لأني فصلت خلاص.

وهاتف "حسام" يرن..

- "منى": تمام يا دكتور، يعني أمشي أنا؟
- "حسام": آه، وأنا هقفل العيادة وأروح.
- "منى": تمام يا دكتور بعد إذنك.

وما زال يرن الهاتف، فقام بالرد..

- إيه يا "نور" عاملة إيه النهارده؟ وحشاني.
- هو أنا هتجوز "معاذ" يا "حسام"؟ يعني أنا فهمت غلط!

"حسام" بعصبية:

- "معاذ" مين ده اللي تتجوزيه؟ مين قالك الكلام ده!
- سمعت "يس" بيكلم "معاذ" بيقوله عايز يقابله عشان يحدد معاد كتب الكتاب.

"حسام" على صوته أكثر:

- ازاي اللي انتِ بتقوليه ده؟
- يعني أنا مفهمتش غلط! صح؟
- "حسام": محدش هيتجوزك غيري يا "نور"، أنا هروح لأخوكِ دلوقتي أشوف إيه ده!

لم أحتج أن أسمع كلمات أخرى بعد ما قاله، فقد شبعت مسامعي إلى هذا الحد.

- طيب متعرفوش إني قلتلك حاجة لو سمحت.

- "حسام": لا متقلقيش، اهدي انتِ بس وأنا هشوف الموضوع ده، وللمرة المليون ومش الأخيرة محدش هياخدك مني، انتِ بتاعتي يا "نور"، يلا باي يا حبيبتي.

يا أللهِ على شعور قلبي الذي لا يُنسى! كان قلبي يقفز وهو بمكانه، وكنت أحلق أنا وما زالت قدماي تلمس الأرض.

كان الأمر أشبه بثبات بعد فوضى عارمة، أو شبع بعد سنين قحط، أو براءة بعد اعتقال، كان أشبه بسُكنة مأمنه بحراسات وأسلاك شائكة وأسوار عالية لا يستطيع تجاوزها، أسطول هائل من الجنود، كنت أشعر أن مخزون الأمان قد نفذ من هذا العالم، ولكني وجدت أنه كان بحوزته بالكامل.. كان الأمر يشبهه النفخ بالروح لتستعيد الحياة، ولكني لا أعذب أنه النعيم الأرضي، أتمنى للجميع أن يجد نعيمه على هذه الأرض؛ لأن الحياة جهنم بما يكفي، فنحن بحاجة ولو لشخص واحد فقط يرتبنا بعد هرجلةٍ دامت لسنوات طويلة.

فلم يكن من السهل أن تدخل كل هذه المواسم على قلبي دفعة واحدة دون تدخل مني، لم يكن سهلًا أن يعج حضوره ويُرغِم حلول الربيع بقلبي في موسم الخريف، تنمو الزهور وتتفتح داخلي، وبالخارج تذبل وتتساقط واحدة تلو الأخرى، لم يكن سهلًا أن بينما الناس تموت بردًا وهو قريب مني كالشمس يدفئني حضوره، لم يكن سهلًا أبدًا كل ما زرعه داخلي من زهور ذات روائح مفعمة بالحب وأجمل المشاعر التي يمكن أن يشعر بها شخص في حياته، لم يكن سهلًا أبدًا، لكن ما أعظم يسر الشيء بين يديه ينتشلني في أقل من دقيقة من كل ما هو سيء إليه..

وهنا لا أحتاج لقول "لكل ما هو جميل"؛ لأنه أجمل ما حدث لي على مَر عمري بأكمله دون وصف مني، فالكلمات ليست عادلة على أي حال.

عند "حسام"..

يتصل بـ "يس" والشرر يتطاير من عينيه..

- ألو، إيه يا "يس" انت فين؟
- "يس": في البيت، وكنت عايزك في حاجة كده.
- "حسام": تمام، أنا كمان عايزك، هعدي عليك وأنا مروّح.
- "يس": خلاص تمام، مستنيك.

وأغلق الخط..

وبعد مرور ساعتين أتى "حسام" ليبدأوا الحديث..

"حسام" يبدأ منفعلًا:

- ممكن تعرفني انت ناوي إيه في موضوع زفت ده؟
- "يس": في إيه مالك متعصب كده ليه؟
- "حسام": عشان مبحبش أحس إني حمار.
- "يس": هو حد قالك إنك حمار دلوقتي يا عم!
- "حسام": طيب اتفضل فهمني هتعمل إيه.
- "يس": هفهمك كل حاجة، وكتب الكتاب الأسبوع الجاي، والفرح الأسبوع اللي بعده.
- "حسام": تمام جدًا، اتفضل فهمني بقى.

(رسائل لن ترسل)

الأشياء أصبحت مبعثرة، لا يكفي لترتيبها سنوات دون هدنة، أشعر أنني حية لألملم شتات الأشياء التي وقعت خلال محياي، فمتى أجني السعادة والراحة والرخاء؟ متى سأشعر بالرفاهية ولو لساعات قليلة؟ متى سأنام وأنا لا أخاف لو أن أهم ما أملك سأفقده، أو متى سيحين موعد طردي من حياته بلا رحمة؟ متى سأشعر بالأمان؟ متى ستزهر لي الحياة من جديد لتشبعني سعادة وتروي قلبي الذي جف لسنوات؟ متى سينبض قلبي بهدوء دون ضجيج؟ متى سأبتسم لأني حقًا سعيدة، ولست مضطرة لرسمها إخفاءً للحزن بين ثنايا شفتاي؟ أتمنى لو أنى أجد من يستحق أن أشكي له ما بي بأريحية دون انتقاء الكلمات قبل خروجها.. أتمنى لو أجد الذي أصبح شفافة أمامه دون خجل، أتمنى "حسام" للأبد.

(أدامك الله ميزانًا لقلبي الطائل)

وبعد مرور أسبوعين تأتي ليلة زفافي بأسعد اللحظات التي أمر بها في حياتي بعد علمي بما يدور بعقل "يس"، وأنا متحمسة لما سيحدث، على قدر علمي بكل ما سيدور باليوم، ولكني قلقة بعض الشيء، ولكن لا لا، لن أفكر، سأسترخي فقط.

- إيه يا "سلمى" فين الميك اب أرتيست؟ اتأخرت كده ليه؟
- "سلمى": لسه قافلة معايا، قدامها نص ساعة يا حبيبتي، اهدي بس انتِ.
- مش عارفة الماسك اللي جبناه امبارح راح فين! عايزة أحطه قبل ما تيجي.
- "سلمى": طيب دوري عليه بالراحة بس وهتلاقيه، استني هدور معاكِ.

في هذه اللحظة دقّ باب الغرفة، وكان "يس"، ليقول:

- ممكن تسيبونا لوحدنا شويه يا بنات.

ذهبوا من معي بالخارج، وقبل خروج "سلمى" تحديدًا بادلتني بابتسامة حنونة، كم هي لطيفة!

"يس" بنظرة تفوق حنان ابتسامة "سلمى":

- هتبقي قمر النهارده يا حبيبتي، أنا متأكد.
- ربنا يحفظك ليا يا حبيبي، بس أنا خايفة أوي.
- "يس": من إيه بس؟
- من اللي انت هتعمله ده، على قد ما فرحانة إن حقي هيرجعلى، بس خايفة شكلنا قدام الناس.

– متخافيش أبدًا طول ما أنا فيّا نفس..

ثم تناول رأسي بين أحضانه، وأخذ يربت عليّ وأكمل:

– أنا مديله معاد بدري عن الضيوف المهمين أوي عشان ميلفتش نظرهم الموقف، لكن الباقيين عادي واحد مجنون.

أخرجت رأسي من بين احضان "يس"؛ لأتناوله هو بأكمله داخلي؛ لأنه حملني بين ثنايا روحه كثيرًا، رغم أنه الصغير، إلا أنني لم أشعر يومًا أنه أخي الصغير، كان دومًا أبي وأمي وأخي الكبير وصديقي المقرب وكل شيء لطيف يتجسد على هيئته، أنا حقًا أحبه حتى في الوقت الذي كنت به هشة وحزينة.

مرت ساعات وأنا انتظر بشغف ظهور أميري الذي خطفني من بين الجميع منذ سنين وأنا لا أعلم، ليخطفني من بيتي إلى بيتنا الجديد، إلى عالمنا الخاص، يأخذني من دنيا لأنتقل إلى أعالي السعادة، كنت دائمًا ما أشعر بشيء مختلف تجاهه، ولكني لم أكن ألاحظ هذا الشعور مسبقًا؛ لأن قلبي كان مشغول بآخر، الآن علمت... علمت أني كنت أهواه لسنين عدة، حتى قبل أن يأخذ بيدي، بينما كان الجميع يدهس جرحي بقدميه.. كان المنقذ الوحيد لي عندما فرّ الجميع مني، عندما أنكرني الجميع آمن بي، عندما كرهني الجميع احبني، ولم أشعر للحظة بأن قلبي يتجه نحو "معاذ"، رُغم أني سأراه ببدلة عرسه، وهذا ما كنت أتمناه، لكن لا أخشى قلبي يرق.. هذا ولأن حسام تملّك مني وبقوة، كان لا يراودني شك في أن يأتي من يأخذ بيدي إلى بر الأمان، بر الحب الذي افتقده لسنين طويلة، نعم فأنا أشعر أني لم أحب من قبل قط، لم

أكن أتخيل أني سأجد من يحبني بالطريقة التي كنت أتمنى الوقوع بها، الطريقة التي يتمناها أي شخص على هذه الكرة الزرقاء.

قاطعني صوت "سلمى" تخبرني بحضوره

"سلمى" بسعادة:

– "نووور نور" جه "حسام" جه.

قفز قلبي من بين صدري سعادة، ثم عاد مكانه سالمًا عندما هَل عليّ بوسامته ورقة تفاصيله التي تداعب شفتاي لتبتسم دون شعور مني.. أعشق ملامحه ونبرة صوته التي تطرب مسامعي، حضر بالغرفة، وكأنه حضر داخل قلبي ليحمله بين أنامله ويربت عليه بخفة.. كنت أشعر بأنه يتنقل حولي كعصفور مغرد بأجمل الأصوات التي مرت بأذني، اختفت الأماكن والأشخاص من حولي، ولم يبقَ سواه، فقدت الإحساس بكل شيء عدا قلبي ظل يدق ويدق حتى كاد يقفز من مكانه إلى أحضانه، ولكنه لا يستطيع، ينتظر الدقائق التالية من بعد جملة "بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير" أنتظرها وبشدة، كما أعلم بأنه ينتظرها أكثر، عيناه أخبرتني بكل هذا؛ لأنه ظل ينظر لي وهو يمسك يداي دون النطق بأي شيء، بينما حكت عيناه كل شيء وهو لا يعلم.

حتى قطعت شفتاه كلام عينيه، وقال:

– أخيرًا يا "نور" هتبقي النور بتاعي أنا بس.

ارتسمت على وجهي ابتسامات العالم أجمع، كان كل شيء بي سعيد، قلبي وعيني وأذني وجسدي بكل أعضائه، فقد لساني الكلام وتكلمت عيناي بكل شيء، أتمنى أن يفهم ما قلته خلالها.

حتى أخذ يدي بين ذراعه وهممنا بالنزول إلى العربة، دخل أخي "يس" ليقول:

- استنى دي عُهدتي، انزل انت وأنا اللي هجبهالك، لازم الناس كلها تعرف إن ليها سند وأبوها مماتش، مش كفاية هسيبهالك على طول!

فلت يدي من "حسام" بسرعة وقفزت بحضن "يس" بلهفة عند شعوري بأنني لن أستيقظ كل صباح على رؤية وجهه، وستتبدل الوجوه.

- ربنا ميحرمنيش منك يا حبيبي أبدًا، انت هتوحشني جدًا يا "يس".

"حسام" بمرح:

- ليه يا "نور" هو أنا هخطفك ولا هنسافر! يا روحي هنيجي زيارة كل أسبوعين ولا حاجة بإذن الله، ويمكن كل أسبوع كمان، ليه محسساني إني هعتقلك هههههههههههه.

"يس" بمرح:

- جيبهالي كل يوم يا ريت يا عم متبقاش بخيل.

- "حسام": نعم يا اخويا! كل يوم إيه؟ أمال هنقعد مع بعض إمتى! بعينك هههههههه.

وظلا يتكلمان وأشاهدهم وأضحك.

"يس" بجدية مصطنعة:

- يلا يا أفندي استناها تحت عند العربية، وأنا هقولها حاجة وأجبهالك.

"حسام" بمرح:

- طيب يا عم خلاص متزوقش، بس متأخرهاش عليا عشان بتوحشني، هههههه.

- "يس": هههههههه، حاضر يا عم الرومانسي.

ونزل "حسام" وأمسك "يس" يدي، وقال:

- بصي بقى يا حبيبتي، انتِ من النهارده في عصمة راجل تاني، حافظي عليه وصونيه واهتمي بشكله قدام الناس؛ لأنه في وشك انتِ قبله، بس حبيه من غير تبذير، خلي عندك توازن في مشاعرك، اداكِ مرة اديله أكتر ، مداكيش اديله مرة واحد بس، صونيه في غيابه قبل وجوده، ومصاريف البيت متصرفيش فيها، حتى لو "حسام" شغله محترم ومرتبه كويس، ربي أطفاله على حبه، لما يحس إنهم بيحبوه هيحبك أكتر، لو زعقلك ولا زعلك متردیش عليه وسيبيه يهدى وهو هيعرف غلطه ويصالحك، محصلش عاتبيه بالحسنى يا نن عين أخوكِ، وتأكدي إنه لو عدى حدوده أنا هقفلُه، اعرفي إن مهما كانلك سند فـ أنا أقوى سند ليكِ، عارف إن "حسام" هيشيلك في عينه لأنه بيحبك جدًا ومحترم، بس أنا شايلك في قلبي يا قلب "يس"، كنت عارف إنك كان نفسك تسمعي الكلام ده من أمي، بس أنا قلتلك هبقالك كلهم.

فاضت عيني بدموع مختلطة بين الفرح والحزن، ثم..

- ربنا ميحرمنيش منك يا "يس"، كل اللي قولته يا حبيبي حاضر هعمل بيه، وهتوحشني جدًا.
- "يس": وانتِ أكتر يا نوري، وكمان في حاجة.
- إيه؟
- متقلقيش من اللي هيحصل النهارده، أنا مرتب كل حاجة وهعلمه الأدب.
- ماشي يا حبيبي حاضر، خير بإذن الله.

يرن الهاتف برقم "حسام".

- "يس": يلا بقى لحسن وحشتي "حسام" هههههه.
- هههههههه يلا بينا.

نزلنا، كنت أرى ابتسامات "حسام" السعيدة عندما رآني من بعيد، وكأنه لم يرني منذ دقائق! نظرات اللهفة والحب لم أرها في عيون من قبل، وكأنها خُلقت فقط لهتين العينين العسليتين.

- "يس": شيلها في عينك عشان مخرجش عينك من وشك يا صاحبي.
- "حسام": هههههههه، إيه يا عم العنف ده! من غير تهديد دي عيني نفسها أصلًا.

ثم قبّل يدي وساعدني لأدخل إلى سيارته المزينة بأجمل الورود.

وصلنا إلى القاعة وتم كتب الكتاب، أصبح زوجي أخيرًا، "حسام" أصبح لي فقط.

مباشرة وبعد نطق المأذون بالجملة المعروفة التي تفتح إلى باب من اثنين، إما الجنة أو السجن، كنت أعلم أن الباب الوحيد الذي يطل على "حسام" هو الجنة.. اتجه إليّ متلهفًا وألقيت نفسي أنا بين ذراعيه، وكأني أغرق بين نهرًا عذب الماء صافي السطح عميق، ظللنا هكذا لدقائق مروا وكأنهم ثوانٍ، كنت أريد المكوث إلى الأبد، نسيت كل شيء حقًا، وكأن بعثه الله لي لينسيني به مُر ما رأيت، كأنه عوض الله لي عن كل فقد.

– "حسام": أخيرًا بقيتي ليا لوحدي يا "نور"!

– أخيرًا يا قلب "نور".

الكلمات كانت تقف عاجزة على أطراف لساني، كنت أشعر بكل ما هو مُبهج في آن واحد، لهذا لم تتجمع لدي الحروف لتصنع جملة مفيدة تُعبر عما يحدث داخل قلبي وعقلي.

– "حسام": هتبقي نور عيني اللي بشوف بيها يا "نور".

في هذه اللحظة دخل "معاذ" وبعض أصدقائه فقط؛ لأنه كان وحيد الأهل بعد فقده أخته ووالدته، وهم في هول وصدمة تنحصر بين ملامحهم جميعًا، ليشير "حسام" إلى "يس"؛ لينتبه لهم.

"يس" وهو متجه إليهم مع "حسام":

– انت إيه جابك هنا؟

"معاذ" بصدمة:

– أفندم! يعني إيه إي جابني هنا؟ ده فرحي، ومين ده أصلًا؟

"يس" ببرود:

– ده عريس أختي، انت مين بقى؟!

"معاذ" باندهاش:

– عريس مين؟ "نور"!!

– "يس": وهو أنا حيلتي غيرها! بقولك إيه احنا كده هنتعطل بسببك، اتكل على الله.

"معاذ" وبدأت العصبية تظهر على ملامحه:

– أمال انت متفق معايا على إيه انت بتستعبط ولا إيه؟ محدش هياخد "نور" غيري.

وبدأت الناس تتجمع حولهم، وقبض على ملابسه وسحبه إليه بقوة، وبدأ الشجار.

"حسام" يقف بينهم ليوقف الشجار، حتى دفعه دفعة أبعدته من بينهم..

"يس" بصوت منخفض وهو يقترب إلى أذنيه،

وقال:

– كان لازم أندمك على اليوم اللي طفيت فيه "نور"، كنت لازم تدوق إحساس الحسرة على نفسك زي ما حسّرتها على نفسها، كان لازم أعلمك يعني إيه كسر خواطر، أنا بقى فتفت خاطرك.

ترك "معاذ" ملابس "يس" بكسرة، ثم قال "يس" بصوت عالٍ:

– يا جماعة ده واحد مجنون، خرجوه برة، فين أمن المكان ده؟!

انتفضت من مكاني لما حدث، وذهبت إليهم مسرعة، فهدأ "معاذ" تمامًا عندما رآني بفستاني الأبيض المرسوم على جسدي المتناسق، وكأنه منحوت على يد فنان محترف.

- هو في إيه يا "يس"، وإيه اللي بيحصل ده؟
- "يس": مش عارف، واحد مجنون اسمه "معاذ"، قال إيه عايز يتجوزك، وبيقول إني متفق معاه على كده!

وكل هذا و "معاذ" يتابعني، وكأنه ينتظر الجملة التي ستنقذ الموقف، حتى نطقت بكل هدوء موجهة نظري إليه:

- احنا متنفقناش مع حضرتك على حاجة، وأنا ميلزمنيش حد غير "حسام" جوزي.

وتعمدت قبض يدي بيد "حسام"، وبكل ثقة قلت:

- ولو سمحت، هتحضر فرحنا بهدوء تنور، هتعمل شوشرة يبقى تتفضل تمشي، وجودك مبقاش مرغوب فيه يا "معاذ".

تحولت ملامح الصدمة الممزوجة بالانفعال إلى الحسرة التي جعلتني أراجع كلماتي من جديد داخلي.. خرج وعينيه لم تسهُ عن دبلة زواجي، وكأنه كان يريد تمزيقها بأصابعي، انغمست وقتها داخل حسام، وكأنني أختبئ من ضميري الذي يوبخني بقسوتي التي لم تحضر من قبل، ولكني على يقين بأنه يستحق كل ما حدث له، وأحمد الله على عوضي الذي أهداني إياه على شكل "حسام".

"لم تكن لتطفئه، ولم يكن يناديها، وعندما ناداها كانت صماء وهو أبكم".

بصوت أنثوي لطيف:

- يا "كريـم" تعالى هنا وبطل شقاوة، ميعاد الحضانة.
- "كريم": حاضر يا ماما، جيت أهو.

- خد بالك من نفسك يا قلب ماما وبطّل لماضة هه!
- "كريم": حاضر، خدي بوسة.
- هات يا روح قلب ماما، ياتي حبيب ماما يا ناس.
- "كريم": باااي يا ماما.
- باي.

أنا اسمي "رؤى" بحب الكتابة جدًا، وبقالي سنة ونص بكتب الرواية دي، أخيرًا خلصتها النهارده.. الرواية دي بتعبر عن "رؤى" بشكل خاص في فترة ما من حياتها، وعن معظم البنات بشكل عام، مش لازم كل تفصيلة تشبهلها، بس أكيد كل واحدة أو واحد فينا اتعرف على درس على هيئة شخص، بالنسبالي عدت عليا القصة دي في حياتي من سنين، مش فاكرة بالظبط كام، أنا دلوقتي عندي ٢٩ سنة، متجوزة راجل عظيم اسمه "بلال"، وعندي "شمس" و "كريم"، دول أحسن حاجه في حياتي، "بلال" ده هو "حسام" في الرواية.

الفكرة إن كل رواية نهايتها سعيدة، ده حتى ربنا وعد مرتين "فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا" فخليك واثق إن حياتك هتنتهي بحاجة ترضيك؛ لأن النهاية الحزينة في كل رواية ما هي إلا نهاية لحياة وبداية حياة تانية خالص، وكل النهايات الحزينة دي قصص ناقصة وحكايات لم تُسرد بعد.

الرسالة الأخيرة

لا تبكِ على ما فاتك، ولا تتقمص دورًا ليس لك، ولا تترك سعادتك بيد شخص، ولا تلهث الاهتمام من أحد، لا تلقِ نفسك بجوف معركة ملامح الخسارة ظاهرة بها من الجولة الأولى، ولا تنظر على حياة آخر، فأنت لا تعلم ماذا أخذ منه لينال ما به الأن! ولا تبكِ إلا على والديك فقط هم من يستحقون ذبول وجهك، ولا تفقد الأمل في شيء تريده، وإن رُزقت الحب أفصح عنه ولا تخبئه بين خيباتك، لعل أحدكما يرحل أولًا، ولعله يخبئ لك نفس الشعور، اطمئن واهدأ، فرزقك سيأتي والغائب سيعود، والقاسي سيحن، والمغترب سيُرد إليك، وسيأتي رزقك ولو كان في جوف الأرض، سيسوقه الله إليك سوقًا، ستطمئن وتهدأ، وسيرزق الله قلبك بنصيبه من السعادة، وستبدأ روايتك ثم تجد من حيث لا تعلم النهاية التي ترضي خاطرك، لا تسمح لنفسك بالهزيمة مهما وصلت لجوف المعركة تاركين جيوشك (أصدقائك) أسلحتهم ليشاهدوا مشهد هزيمتك بسعادة، ابهرهم بصمودك إن لم يكن نجاحًا، تنفس بعمق، وانتظر نصيبك من السعادة، لعله دورك الآن لتصبح "نور".